السبت 5 آذار 2022
العدد 4577 السنة السادسة عشرة
Samedi 5 mars 2022 nº 4577 16ème année

24 صفحة
5000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

روسوفوبيا
بلطجة الغرب

لجنة لدرس «عرض هوكشتين» وحزب الله يرفض المشاركة مباشرة أو بالواسطة

مخزون الوقود لـ 10 أيام... والتسعير يومي؟ [2]

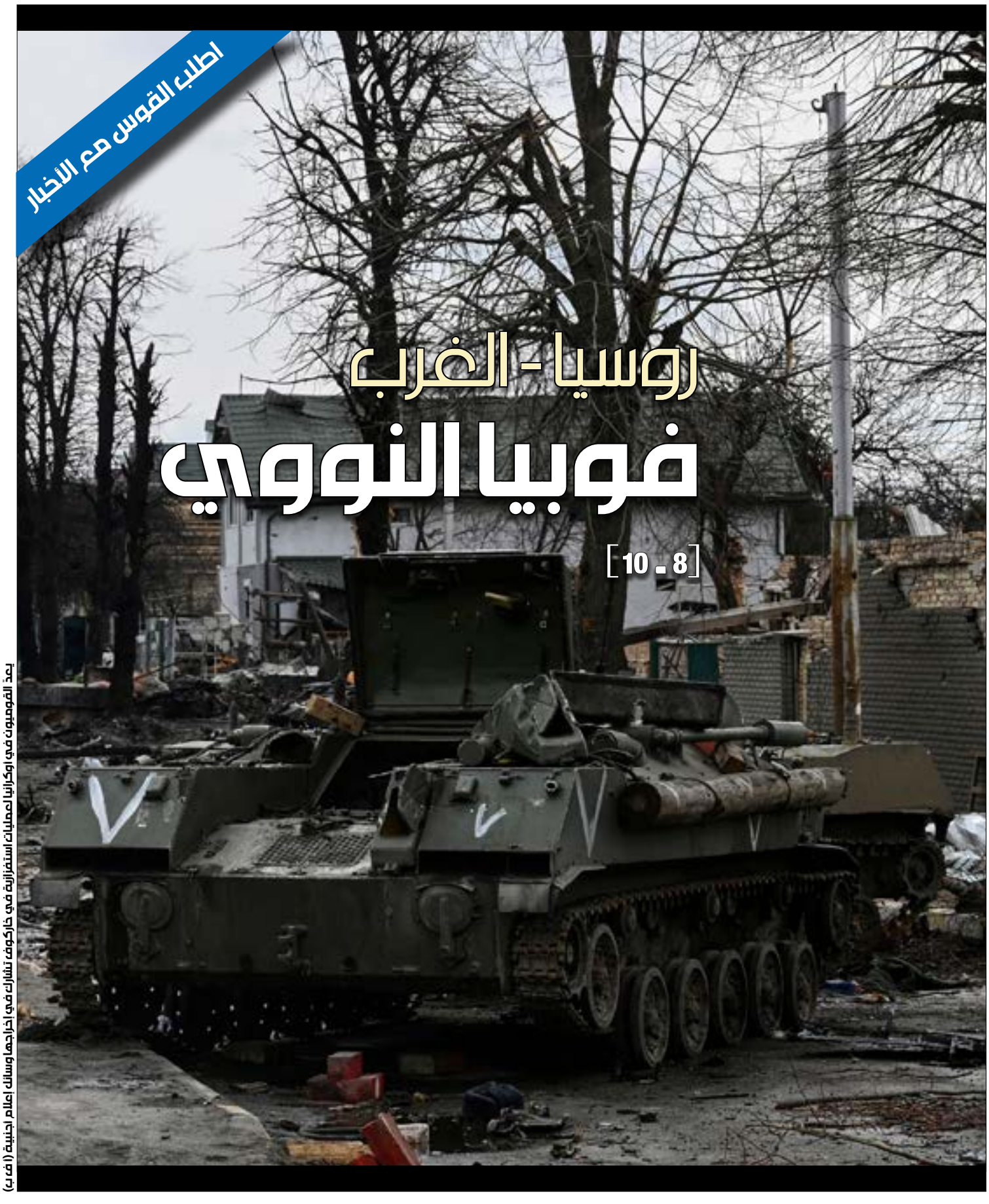

اطلب القوس مع الأخبار

روسيا - الغرب
فوبيا النووي
[8 ـ 10]

يعدّ القومبوت في أوكرانيا العمليات استفزازية في خاركوف تشارك في إخراجها وسائل إعلام أجنبية (أ ف ب)

رحيل
زياد منى

أغمض عينيه!

اغمضهما في دمشق، لكن الاكيد انه لن يغمضهما عنها، كما لم يغمضهما عن فلسطين. فدمشق بالنسبة إلى زياد وأمثاله من مناضلي العرب وثوريها الحقيقيين هي بوابة فلسطين، كل فلسطين، من البحر إلى النهر. ولانها كانت البوابة، وتبقى كذلك، لم يتركها حين تكالبت عليها السيوف وعملت فيها الخناجر، بل قرّر البقاء مع أهلها رافضاً كل عروض المغادرة ومغانمها. فابن القدس لا يترك دمشق. وزياد منى واحد من ابناء القدس البررة. رحلته النضالية الطويلة بدأت من القدس حيث ولد إلى دمشق مروراً بعمان التي طرد منها ونزعت عنه أوراقه الثبوتية فيها، فصار اسماً بلا رقم، قبل ان ينتقل إلى تونس والقاهرة وغيرهما من عواصم العرب، وصولاً إلى المانيا الديموقراطية حيث اكمل الدراسة... قبل أن يختار العودة إلى دمشق التي سكنته وسكنها.
زياد منى اسم علم لفلسطين، وسيرة من سيرها النقية التي سيتداولها المقاومون في لبنان وسوريا وفلسطين طويلاً...

البلاد

ملف

باسل الأعرج
قديس بالرشاش

[12]

مقابلة

خضر عدنان
الشارع الفلسطيني يستعيد عافيته

[14]

إسرائيليات

صفحات منسية
تعاون الحركة الصهيونية مع النازية

[15]

قضية اليوم

حزب الله يرفض المشاركة مباشرة أو بالواسطة

لجنة لبنانية لدرس «عرض هوكشتين»

(هيثم الموسوي)

ميسم رزق

تحوّل ملف ترسيم الحدود البحرية مع فلسطين المحتلة إلى صندوق أسرار تحاول الجهات التي تتولاه التستر على ما يحصل فيه، من دون أن يتبيّن حتى الآن المعاصي التي ترتكبها الدولة، والتي قد تؤدي إلى خسارة لبنان جزءاً من سيادته وثروته البحرية. المؤكد أن الملف ورقة دسمة لمن يريد تحصيل مكاسب سياسية أو شخصية، والمؤكد أكثر أن أحداً لن «يتورط» في مقاومة الولايات المتحدة خوفاً من سيف العقوبات. لذا فإن القبول بالحد الأدنى الذي يريد الأميركيون أن يمنّوا به على لبنان هو ما يتسرب من لقاءات ما خلف الكواليس.

> **لم يتم الاتفاق على أسماء أعضاء اللجنة التي تُدرس بين بعبدا والسراي**

هذا الأسبوع، انتقل ملف الترسيم إلى محطة جديدة تمثلت بتسليم السفيرة الأميركية في بيروت دوروثي شيا الرؤساء الثلاثة عرضاً مكتوباً، ترجمة للعرض الشفهي الذي حمله كبير المفاوضين في وزارة الطاقة الأميركية عاموس هوكشتين، بناءً على طلب لبنان، والمطلوب من لبنان الإجابة عليه، قبل أن يحدد الوسيط الأميركي موعداً لزيارة قريبة. العرض يقترح حصول لبنان على الخط 23، مشوّهاً، عبر إعطائه الخط 23 من نقطة أقصى جنوب لبنان، قبل أن ينحرف صعوداً عند البلوكين 8 و10، فيكونان مع القسم الخارجي من حقل قانا من نصيب العدو الإسرائيلي، إضافة إلى عرض آخر يتضمّن قيام شركة «توتال» من الجانب اللبناني وشركة «هالبرتون» من الجانب الآخر بإدارة الحقول المشتركة، على أن يتم العمل على الحدود برعاية قطرية.

وبحسب مصادر مطلعة فإن رئيس الجمهورية بقبوله التفاوض على الخط 23 وفّر سلّماً للتوصل إلى حل، إلا أن العدو على ما يبدو لا يريد النزول عن الشجرة، بدليل عرض الخط المشوّه. كما أن الوسيط الأميركي يدرك تماماً بأنه خُدع من الإسرائيليين فقرّر الاستعاضة عن الزيارة بالرسالة، وبتهديدات السفيرة الأميركية، وبالاستمرار في رفض الإفراج عن إعفاءات من قانون قيصر لكل من مصر والأردن لتزويد لبنان بالغاز والكهرباء، لإبقاء هذا الملف رهينة ملف الترسيم.

وعلمت «الأخبار» أنه تقرر تأليف لجنة تضم 8 أعضاء لدراسة «عرض هوكشتين» (ممثلان لرئيس الجمهورية، ممثلان لرئيس الحكومة نجيب ميقاتي، واثنان من وزارة الخارجية واثنان من وزارة الدفاع). وفيما يحتمل أن تضم اللجنة ممثلين عن الجيش ووزارات البيئة والأشغال والطاقة، أكدت مصادر بارزة أن وزير الأشغال علي حمية أبلغ حزب الله بأن رئيس الحكومة يريده أن يكون من ضمن اللجنة، وأن الحزب أبلغه «موقفاً رافضاً»، مؤكداً أننا «لن نشارك في أي لقاء أو محادثات مباشرة عبر الوزير ولا بالواسطة تتعلق بملف الترسيم، خصوصاً إذا كانت اللجنة ستجتمع بوفود أميركية».

واستغربت المصادر أن يكون لبنان في صدد درس هذا الاقتراح فعلاً، علماً أن «الموقف منه يجب أن يكون الرفض ولا شيء غير الرفض»، معتبرة أن «موقف الحزب هو رد على عملية توريطه بالملف من خلال إشراك وزير الأشغال، ليس لكون وزارته معنية بالملف بل لأنه وزير حزب الله، ولأن مشاركته ستعطي انطباعاً بأن الحزب شريك في عملية التفاوض وهو ما يرفضه منذ البداية»، مستغربة أن «لا يكون من ضمن الوفد ممثل عن عين التينة التي تعد جزءاً من الحلقة التي يتفاوض الأميركيون معها، بشكل يبدو وكأن هناك جهة في البلد مستبعدة من القرار». وحتى الآن، لم يتم الاتفاق على أسماء أعضاء اللجنة التي تُدرس بين قصر بعبدا والسراي الحكومي.

في ستة أيام، بين 24 شباط و2 آذار، انتهت أزمة الموقف اللبناني من الحرب الروسية على أوكرانيا. في يومها الأخير استقرت على ما كانت قالت به في اليوم الأول. وهو بيان وزارة الخارجية ودعمه

في الواجهة

بيان الخارجية فَاضَلَ بين الدعم والإبتسامات

نقولا ناصيف

في اجتماع 2 آذار في قصر بعبدا بين الرئيسين ميشال عون ونجيب ميقاتي والوزير عبدالله بوحبيب، اعيد التأكيد على كل ما دار في جلسة مجلس الوزراء في 24 شباط، باقرارها بيان وزارة الخارجية من الحرب الروسية على اوكرانيا. بلا تصويت، ولا اعتراض اساسي ما خلا العبارات القليلة التي ادلى بها وزير حزب الله مصطفى بيرم. الحقها نائب الحزب ابراهيم الموسوي في الغداة بانتقاد البيان والوزير والعبارات الحادة التي تضمنها. من ثم توقف السجال تدريجاً.

بتصويت لبنان الى جانب المجموعة الدولية في الجمعية العمومية للامم المتحدة في 3 آذار، المطابق لموقفه المنفرد بداية، المندّد بحرب روسيا على اوكرانيا، انتقلت الهموم اللبنانية الى شأن آخر.

ترتّب على بيان الخارجية اللبنانية، في مسوداته المتتالية التي أعدّ اولاها بوحبيب ثم صار الى تعديلها في السرايا، بضعة معطيات انتهت الى اعتقاد السلطات بأنها اجتازت ازمة اراد البعض تحميلها اكثر مما تحمل، والذهاب بها الى اسباب شتى لتبرير انقسامات وطنية اضافية:

1 - ظن البعض ان الموقف الاولي لحزب الله في مجلس الوزراء ثم خارجه من شأنه وضع الحكومة امام مفترق صعب، ربما اعاد في حد ادنى شل اجتماعاتها على نحو تجربة الاشهر الثلاثة الاولى في عمرها، او تعريضها للسقوط، وفي وسع الحزب وحلفائه الممسكين بالثلث+1 تكرار سابقة 2009 مع الرئيس سعد الحريري. لكن اتى الصمت التالي لحزب الله كي يدلّ على موقف اهم: بقاء حكومة ميقاتي في الوقت الحاضر افضل بكثير من اطاحتها، وهي على ابواب استحقاقات مهمة للغاية، ابرزها القريب وليس اهمها الانتخابات النيابية العامة. موافقة رئيس الحكومة المسبقة وموافقة رئيس الجمهورية اللاحقة جزما بما هو ابعد من البيان المدلى به، الى الاصرار على حماية خيارات السلطة الاجرائية.

لم تساور وزير الخارجية ادنى شكوك في الوصول الى ازمة كهذه، ولا بدت التوقعات التي رافقت وضع البيان قبل عرضه على مجلس الوزراء، ان السقف الشيعي سيكون اعلى من المحسوب. بعد الموقفين المقتضبين، وصمت الرئيس نبيه بري، تأكد للوزير ان البيان صائب.

بعض المعلومات الاولية التي وصلت اليه - ومنها اتصالات ليست بعيدة من الفريق المعترض - قبل انعقاد مجلس الوزراء في 24 شباط، ان عليه ان يتحوّط من رد فعل سلبي. في نهاية المطاف، لم يكن ثمة تفكير لدى اي فريق في البحث عن كبش محرقة على جاري العادة، إما للتنصل منه او لتحميله الوزر، بل تجاوز ما حدث بالتسليم بدعم رئيسي الجمهورية والحكومة موقف الوزير، واعتبار البيان يمثل الدولة اللبنانية برمّتها، ولا ينبثق من موقف شخصي. في اقصى ما عناه وزير الحزب في مجلس الوزراء ان البيان لا يمثله، ليس الا.

2 - ليس مدار جدل طويل الوصول الى خلاصة، تقضي بالانحياز الى موقف واشنطن والغرب في الحرب الروسية على اوكرانيا، لا الى موقف موسكو. وفرة الحجج كفيلة بانحياز كهذا، مبني على قاعدتين وجدهما بوحبيب حتميتين: اولاهما الاخذ بميثاق الامم المتحدة والمبادىء الاخلاقية التي تحظر اعتداء دولة على اخرى او تفرض عليها ارادتها بالقوة، اخذاً بما خبره لبنان من سلسلة طويلة من الاحتلالات المتعاقبة منذ النصف الثاني من الستينات. وثانيتهما لبناني رسمي.

ليس خافياً أن الروس والاميركيين على حدود لبنان، الاولون في سوريا، والآخرون في الداخل اللبناني من خلال الدور الذي يضطلعون به سواء حيال الجيش او المؤسسات التي يدعمونها، رسمية وغير رسمية. بحسب بوحبيب، يسلّح الاميركيون الجيش اللبناني ويطعمونه ويمدّونه بمساعدات وأموال لضمان صموده في الأزمة الاقتصادية والمعيشية الخانقة، ناهيك بالدور المعوّل عليهم في المفاوضات الدائرة مع صندوق النقد الدولي والمساعدات المترتبة عليها، فيما يكتفي الروس بتوزيع الابتسامات. عندما كان في واشنطن، ابان عطلة رأس السنة، فاتحه

> **بوحبيب: بينما يسلح الاميركيون الجيش ويطعمونه ويساعدونه، يكتفي الروس بالابتسامات**

الاميركيون في فكرة انشاء صندوق دولي ترعاه الامم المتحدة لمساعدة الجيش اللبناني ودعمه في ضائقته، تتوزع تمويله دول عدة ولا يقتصر على الاميركيين. لا يزال الاقتراح يدور في اروقة المنظمة الدولية، من دون ان يلقى بعد تأييداً روسياً.

الى هذا المآخذ، آخر ليس اقل اهمية، هو اقتراح الامين العام للامم المتحدة انطونيو غوتيريش بتولي قوة اليونفيل في جنوب لبنان، العاملة في نطاق القرار 1701، مساعدة قوة الجيش اللبناني هناك المقدرة بخمسة آلاف عسكري لمواجهة صعابه، تحفظت عنه روسيا والصين. بينما كظمت موسكو دوافع تحفظها، كَمَنَ الاعتراض الصيني في رفض الاميركيين الموافقة على ضم احدى السفن الصينية الى قوة اليونفيل في الناقورة لمراقبة الشاطىء اللبناني.

3 - من الدوافع المبررة لتيقن وزير الخارجية من أن تحفظ حزب الله لا يعدو كونه عتباً ليس الا، وهو كان يفضّل اصدار البيان بعد مناقشته في مجلس الوزراء وليس إعلامه به، ولم يكن الحزب في الاصل خافياً عن المنحى الذي يتضمنه، ان علاقة الحزب بروسيا ليس بالحرارة المتوقعة. كلاهما على ارض سوريا وفي خضمّ حربها. بيد ان ذلك لا يحجب الحاح موسكو على الرئيس السوري بشار الاسد اخراج ايران ومقاتلي حزب الله من معادلة الحرب في بلاده.

ما خلا الزيارة الوحيدة للحزب لموسكو في مثل هذه الايام من السنة المنصرمة، آذار 2021، قام بها رئيس كتلة نوابه محمد رعد على رأس وفد الى هناك، قلما بانت علاقة صداقة بين الطرفين. ثمة حجة اضافية غزي اليها عتب الحزب، يتمثل في اقتدائه بموقف ايران من الحرب الروسية على اوكرانيا. في التصويت الاخير في الامم المتحدة، وقفت ايران في صفوف الممتنعين. قبل ذلك، على اثر اندلاع الحرب تلك قبل اكثر من اسبوع، لم تتخذ - وهي تتعايش مع الروس في سوريا - موقفاً داعماً لموسكو التي صوتت قبل ايام قليلة لفرض عقوبات على الحوثيين حلفاء ايران وحزب الله.

وازَنَ موقف الجمهورية الاسلامية من حرب اوكرانيا بين الدولتين، المعتدية والمعتدى عليها. قالت إن اوكرانيا سمحت للغرب بالتلاعب بها لمحاصرة موسكو والتحاقها به، وهي تصوّب في الاصل على الاميركيين بالذات، من غير ان تجد في رد الفعل الروسي ما يبرره او تقف الى جانبه وتدعمه. على نحو مماثل تأتى حزب الله في اتخاذ موقفه، وفضّل، على غرار الخيار الايراني، التراجع خطوة الى الوراء مما ذهب اليه بيان الخارجية اللبنانية بالتقدم بخطوة الى الامام.

تقرير

المخزون يكفي 10 أيام: معركة على التسعير اليومي للبنزين والمازوت

استعرت معركة المشتقات النفطية مجدداً. فطيما تتهم الوزارة التجّار بمحاولة الإثراء على حساب المستهلكين عبر المطالبة بتسعير يومي للمازوت والبنزين، يردّ هؤلاء بأنهم يسجّلون خسائر كبيرة بسبب التذبذبات السريعة والحادّة في الأسعار العالمية. وبين هذه وهؤلاء، تنصبّ المخاطر على المستهلك: إما ارتفاع الأسعار وإما انقطاع السلعة. فالمؤكد أن مسار الأسعار في الأيام المقبلة سيكون تصاعدياً مع تأثيرات مقلقة نظراً إلى انعكاساتها الهائلة على أكلاف الإنتاج، سواء لانتقال الأفراد أو لتوليد الطاقة عبر المولدات. فهل تكون الزيادة يومية كما يريدها المستوردون، أم ضمن مدى زمني أبعد لحماية المستهلكين؟

الإجابة تبدأ بالمخزون، وهو محور سجال بين الوزارة والشركات أيضاً. إذ يؤكد وزير الطاقة وليد فياض أن مخزون المشتقات النفطية يصل إلى 10 أيام للبنزين ونحو 5 أيام للمازوت، في مقابل تأكيد الشركات أن مخزون المادتين لا يكفي سوى لأيام محدودة.

إذ إن الكمية التي كانت متوافرة في خزّانات الشركات صباح أمس بلغت 60 مليون ليتر من البنزين، و40 مليون ليتر من المازوت، أي 6 أيام للبنزين و4 أيام للمازوت. ورغم عدم وجود فارق كبير في التقديرات، إلا أن يوماً أو اثنين في ظل الظروف القائمة في لبنان قد تعيد تسعير عمليات التخزين والبيع في السوق السوداء خلال ساعات، وخصوصاً أن الشركات يمكن أن تتوقف عن البيع بذريعة حماية مخزونها من الخسارة.

ولكن، هل تخسر الشركات فعلاً؟ لا أحد يملك جواباً واضحاً، سوى أن هناك انطباعاً بأن الخسارة ليست أمراً يدخل في حسابات الشركات التي يفترض أن تصرّح عن نتائجها المالية السنوية خلال السنوات العشر الأخيرة. هل هناك شركة خسرت في لبنان، أم أن أرباحها كانت دائماً مضمونة بما فيها في فترة الدعم؟ على أي حال، فإن احتمالات الربح والخسارة في ظل التذبذبات الحادّة والسريعة ليست مضمونة في الاتجاهين، بحسب رأي وزير الطاقة. لذا يستهمل فياض في الاستجابة لمطلب الشركات بالتسعير اليومي. فكما هو معروف، يرفع التسعير اليومي قيمة المخزون، ويحقّق للشركات أرباحاً طائلة من جيوب المستهلكين.

في المقابل، يقول رئيس تجمع الشركات المستوردة للمشتقات النفطية مارون شماس إن المخزون ضئيل جداً، وسعره محتسب على أساس متوسط الأسابيع الأربعة السابقة حين كانت الأسعار أقلّ بكثير، وبالتالي فإن التسعير اليومي يغطي الفروقات في الأسعار بين المخزون القديم والكميات الجديدة المستوردة «لأنه في الحالة الراهنة، يصبح المخزون مبيعاً بالأسعار القديمة، بينما اشتريناه بأسعار أعلى». غير أن كلام شماس يدحضه تجّار آخرون (رفضوا الإفصاح عن أسمائهم)، لفتوا إلى أن استيراد المشتقات النفطية يتم حالياً في السوق بأسعار أقلّ من أسعار البلاتس، وأن ادعاءات المستوردين بأن التسعير يتم بناءً على معادلة تسعير فيها ما بين 5 أيام و10 أيام قبل التحميل وما بين 5 أيام و10 أيام بعد التحميل بيوم، فيها الكثير من المواربة «إذ إن كل المسألة تتعلق بأن الأرباح تكون قليلة في البداية، وكلما جرى رفع التسعيرة انسجاماً مع ارتفاع الأسعار العالمية ترتفع الأرباح. فالتنافس في السوق يتعلق بمن يستفيد من المخزون: المستوردون أم التجار الوسطاء الذي يعمدون إلى شراء كميات كبيرة من المستوردين ويخزنونها مقابل بيعها لاحقاً بالتسعيرة الجديدة؟ وبالتالي، فإن التنافس يتمحور حول من يستفيد من أرباح الأسعار الجديدة».

رغم ذلك، ثمة شكوك بأن تذبذبات سريعة وحادة كالتي حصلت قبل يومين مثلاً حين ارتفعت أسعار المازوت بشكل كبير ثم انخفضت بعد ساعتين بقيم كبيرة تصل إلى 100 دولار للطن الواحد، ستكبّد من اشترى على التسعيرة المرتفعة خسائر هائلة مقارنة مع التسعيرة التي لا تأخذ هذه التقلبات في الأسعار.

> **طليس من موقف إلى آخر**
>
> كان لافتاً أن يستند وزير الطاقة وليد فياض إلى تصريح من رئيس اتحاد النقل الخاص بسام طليس لمواجهة جموح مستوردي النفط نحو التسعيرة اليومية، لكن ما حصل لاحقاً بدا مستغرباً أكثر. إذ جرت اتصالات بين شماس وطليس، وتم الاتفاق مع الأخير على توضيح أن موقفه من ارتفاع أسعار البنزين والمازوت لا يقصد منع رفع الأسعار انسجاماً مع ارتفاع الأسعار العالمية. بعدها، أجرى طليس اتصالاً بالوزير، إلا أن الأخير لم يردّ.

على أي حال، لماذا يترتّب على المستهلك أن يتحمّل مخاطر التجارة التي ارتضى بها التجّار لأنفسهم؟ ألا تترتّب على أي تجارة في العالم مخاطر الربح والخسارة، وبالتالي عليهم أن يتكيّفوا مع احتمال ارتفاع المخاطر كما يتكيّفون مع احتمال انخفاضها؟ الإجابة الآتية من مستوردي المشتقات النفطية تشير إلى أن مسألة المخاطر صحيحة، إنما عندما تكون تذبذبات الأسعار بهذه الوتيرة يفضّل التجار التوقف عن الاستيراد، ما يعني نفاد المخزون سريعاً بكل ما يعني ذلك من انعكاس سلبي على الأفراد والأسر والمؤسسات أيضاً.

> **التجار يحمّلون المستهلكين الأكلاف تحت التهديد بانقطاع السلع**

إذاً، مفروض على المستهلك أن يتحمّل المخاطر نيابة عن التجّار، وإلا ستنقطع السلعة من السوق. هذه هي المعادلة التي يقدّمها تجمّع مستوردي النفط. هم يريدون التسعيرة اليومية التي تحافظ على مستويات ربحيتهم بشكل مضمون. منحهم هذه الضمانة، أو اللجوء إلى آلية تسعير محايدة هو أمر بيد وزارة الطاقة، وربما يجب أن يصبح الأمر بيد مجلس الوزراء إذا كان هذا الأخير راغباً في إجراء «إصلاحات» في بنية الاقتصاد أو حتى إذا كان راغباً في مكافحة «الكارتيلات» بدلاً من الاستمرار في مشاركتها سراً وعلانية. لكن هذا لا يعني أن الأسعار ستنخفض بأي شكل من الأشكال، بل هي سترتفع حكماً في الأيام المقبلة، وقد تكون الارتفاعات حادّة ومقلقة أيضاً.

(الأخبار)

(أرشيف ـ مروان طحطح)

تقرير

انتخابات صيدا: هل ترشح الحريري بالوكالة؟

آمال خليل

عادت النائبة بهية الحريري من أبو ظبي خالية الوفاض، بعد زيارة للرئيس سعد الحريري في مقره الجديد. بحسب المعلومات، «أخفقت العمّة في إقناع ابن شقيقها بمنحها استثناء يسمح لها بالترشح عن مدينة صيدا ضمن دائرة الجنوب الأولى». إذ أن الحريري «تمسّك برفضه البحث، في الأساس، بترشح أحد أفراد عائلته على غرار رفضه ترشح أي كان باسم تيار المستقبل». قبل شهرين، عند إعلان «بيت الوسط» العزوف عن المشاركة في السياسة، التزمت مجدليون. كانت الحريري تقول لمساعديها وزوارها إنها ليست بحاجة للنيابة لكي تبقى حاضرة على الساحة الصيداوية.

> البزري يتلقى عروضاً للتحالف من التيار الوطني الحر والمجتمع المدني والثنائي وسعد

وذكّرت بحضورها الرئيسي الذي تلازم مع انطلاق مشروع شقيقها رفيق الحريري نهاية السبعينيات من مجمع كفرفالوس إلى المؤسسة الإسلامية للتنمية (تحولت إلى مؤسسة الحريري لاحقاً). وعرضت خططاً خدماتية وتنموية جهزتها للمدينة بعد خروجها من النيابة «والتفرّغ لخدمة الناس»، من دون أن تتأثر بوفود العائلات والأصدقاء الذين طالبوها بالترشح. كما لم تستجب لاقتراحات بترشيح مقربين منها، بل أوعزت لمناصريها بمقاطعة الانتخابات كلياً عوض تجيير أصوات قواعدها لمرشح آخر. فما الذي استجد وجعلها تفكر بالترشح شخصياً؟

يقرّ مستقبليون بأن مناصري الحريري لن يلتزموا كلياً في حال طلبت الحريري منهم مقاطعة الاقتراع لأسباب عائلية ومصلحية. وعليه، فإن القاعدة ستتشتت، وقد تتفرق على نحو تدريجي خلال السنوات الأربع المقبلة في العرين الأساس للحريرية رغم نفوذ الحريري في بلدة صيدا والأجهزة الأمنية والإدارات الرسمية والجمعيات... لذلك، دفع هذا «الخطر الوجودي» الحريري إلى محاولة إقناع ابن شقيقها بمنحها إذن الترشح. حتى الآن، «يرفض الحريري. وهي ترفض مخالفة قراره» بحسب مقربين منها. وفي انتظار حسم الأخير لموقفه، اقترح مستقبليون ترشيح رموز حريرية في المدينة تضمن عدم تسرب المناصرين، كعضو بلدية صيدا حازم بديع ورئيس جمعية المقاصد الإسلامية في صيدا يوسف النقيب. علماً أن الأخير هو أحد رفاق رفيق الحريري القدامى وقد أوكل إليه ترؤس الماكينة الانتخابية للاستحقاقات التي خاضها تيار المستقبل في المدينة، في النيابية والبلدية وفي جمعية المقاصد وخريجيها أيضاً. ووجد كثر في النقيب أفضل مرشح بديل عن «الست بهية». إذ يمتلك مروحة واسعة من العلاقات الصيداوية ولديه رزمة من الخدمات والتوظيفات. ويرد البعض سبب خسارة المستقبل الانتخابات البلدية عام 2004 أمام القوى الوطنية، إلى استبعاده للمرة الأولى عن الماكينة بطلب من بهية الحريري. وعلمت «الأخبار» أن من بين من أبرز الداعمين لترشيح النقيب، الرئيس فؤاد السنيورة. وعن مصير ترشحه، قال النقيب أمس إن «الجهود تتركز حالياً لإقناع سعد الحريري على الموافقة على ترشح عمته بهية. وفي حال رفض، لكل حادث حديث».

(هيثم الموسوي)

حتى الآن، لم يستوعب كثر المشهد الصيداوي السياسي من دون الحريري الثابتة نيابياً منذ عام 1992. لكن الفراغ سيجد حكماً من يملأه. إضافة إلى حراك النائب أسامة سعد الانتخابي للترشح مع مجموعات مستقلة، برز حراك للجماعة الإسلامية ورئيس بلدية صيدا السابق عبد الرحمن البزري اللذين أجريا مروحة اتصالات واسعة للبحث عن حليف مناسب في صيدا وجزين لتأليف لوائح مشتركة. وفي حين عجزت الجماعة حتى الآن عن التموضع في أي حلف، تلقى البزري عروضاً عدة من التيار الوطني الحر وبعض مجموعات المجتمع المدني، ومن ثنائي أمل - حزب الله للتحالف مع لائحة تضم النائب إبراهيم عازار في جزين، ومن سعد للتحالف مع سعد في لائحة واحدة مع مستقلين في جزين.

البزري قال لـ«الأخبار» إن خريطة الترشيحات والتحالفات «لا يمكن أن تثبت قبل أن يحدد تيار المستقبل موقفه النهائي من الانتخابات ويحسم دخوله المعركة من عدمه، كونه تياراً وازناً وله حضور أساسي في الساحة الصيداوية». حتى ذلك الحين، أكد أنه في تشاور دائم لا سيما مع «القوى التغييرية» وسعد الذي التقاه أمس للبحث في إمكانية التعاون الانتخابي سواء ضمن لائحة واحدة أو لائحتين. لكن حسم الجهة التي سيتحالف معها في جزين «رهن بالحسابات الانتخابية وبمدى قبولها صيداوياً». إنما «في كل الأحوال، فإن ميزة صيدا ستكون إنتاج نائبين مستقلين».

تقرير

دولرة الأقساط: القضاء يحمي الجامعات الخاصة

فاتن الحاج

كان يفترض أن يكون أمس، 4 آذار، موعداً لصدور الحكم النهائي في دعاوى قدّمها طلاب الجامعتين الأميركية واللبنانية الأميركية ضد قرار إدارتيهما دولرة الأقساط، إلا أن المدعين فوجئوا بقرار إعدادي يدعوهم إلى استجوابهم، في الأسبوع الثاني من أيار، «في محاولة لدفعنا إلى الموافقة على المصالحات مع الإدارات، حتى لو لم نكن مقتنعين بها». وأوضحت مصادر الطلاب المدّعين أن تأخير البتّ في الدعوى يصبّ في مصلحة الجامعتين ويفسح المجال أمامهما لممارسة ضغوط على الطلاب، فيما كان متوقعاً صدور قرار بدفع قسط ربيع 2021 وفق سعر الصرف الرسمي (1500 ليرة مقابل الدولار). ناهيك عن «الإجراءات التعسفية التي اتخذتها إدارتا الجامعتين»، كما حصل الأسبوع الماضي عندما منعت إدارة AUB أربعة طلاب قدموا دعاوى ضد الدولرة من دخول المنصة التعليمية، ما لم يحضروا إلى مكتب المحاسبة ويدفعوا أقساط ربيع 2021 وخريف 2021 وربيع 2022 وفق سعر صرف 3900 ليرة مقابل الدولار، قبل أن يتدخّل المجلس الطلابي ويعيد الطلاب إلى المنصة على خلفية أن القرار القضائي بات وشيكاً، وتحت التلويح بمراجعة القضاء إذا أصرت الجامعة على حرمانهم من حقهم بالتعليم. كذلك منعت إدارة الجامعة اللبنانية الأميركية الطلاب المدعين من التسجيل في صف خريف 2021 وربيع 2022، من دون أن تصدر قراراً صريحاً بطردهم.

مصادر قانونية متابعة اعتبرت أن إعطاء المهل للجامعات لممارسة ضغوط على الطلاب بدلاً من إحقاق الحق يرتقي إلى مصاف الاستنكاف. ولفتت إلى أن طلاب LAU لجأوا إلى القضاء المستعجل لإلزام الجامعة إعطاءهم بياناً بالقسط ليسددوا أقساط خريف 2021، وربيع 2022، إلا أن القضاء قرر، في 25 شباط الماضي، مراجعة محكمة الأساس التي تنظر في الدعاوى، علماً بأن الأخيرة تتعلق فقط بأقساط ربيع 2021. وأضافت: «لو كان القضاء حاسماً في قراراته لقطع الطريق على بقية الجامعات الخاصة لمنعها من فرض مبالغ بالفريش دولار كما فعلت جامعة بيروت العربية (600 دولار على كل طالب)، والجامعة اليسوعية (250 دولاراً على كل طالب)، وبتنا أمام بطش الجامعات بعد بطش المصارف». وسألت المصادر: «هل الجامعات مضطرة فعلاً لزيادة الأقساط؟ ومن الأولى بالتضامن من التصرف بودائعها المصرفية؟». ولفتت إلى أن أداء القضاء وتراخيه سمحا لإدارات الجامعات بممارسة ضغوط على الطلاب والوصول إلى حلول حبية تحت وطأة المماطلة في تأخير إصدار الحكم النهائي. إذ تراجع عدد الطلاب المدعين من 150 طالباً في الجامعتين إلى طالبتين اثنتين في الجامعة اللبنانية الأميركية و35 طالباً في الجامعة الأميركية، في غياب أي موقف لوزير التربية والتعليم العالي عباس الحلبي من هذا الملف الحساس، بعدما أخلّت الجامعات بتعهداتها للوزير السابق طارق المجذوب بعدم زيادة الأقساط ودولرتها واستيفاء القسط وفق سعر الصرف الرسمي.

> تأخير الحكم النهائي يتيح للجامعة ممارسة الضغوط للوصول إلى المصالحات الحبية

الاجتماعي: الجهة التي تحصل على منح خارجية أم الجهة التي تُمنح

(هيثم الموسوي)

تقرير

... وطرابلس تنتظر وجهة ميقاتي

عبد الكافي الصمد

ترقد دائرة الشمال الثانية (طرابلس والضنية والمنية) في سبات انتخابي لا تعرفه بقية الدوائر الانتخابية. هذه البرودة تعزوها مصادر سياسية إلى انتظار موقف رئيس الحكومة نجيب ميقاتي الذي لم يعلن صراحة حتى الآن، على بعد نحو 10 أيام من إقفال باب الترشّح، عن نيّاته حيال الاستحقاق. علماً أن ميقاتي أعلن في لقاء تلفزيوني في 10 أيلول الماضي، بعد نحو أسبوعين على تأليف الحكومة، أنّه لن يحسم موقفه إلّا «قبل ساعات من إقفال باب الترشّح». فيما كل المؤشرات تدلّ إلى حراك انتخابي للرجل الذي أكّد قبل أيام «أننا لن نترك الساحة السنّية للفراغ»، وعقد لقاءين منفصلين مع الرئيس فؤاد السنيورة والأمين العام لتيّار المستقبل أحمد الحريري، في وقت لم تتوقف لقاءاته، مباشرة أو عبر فريقه السياسي، مع نوّاب ومرشّحين من طرابلس والضنّية والمنية. وعليه، سيرسم ميقاتي، في ظل عزوف تيار المستقبل، صورة المشهد الانتخابي في الدائرة بنسبة كبيرة، سواء قرّر عدم الترشّح مباشرة أو تبنّي دعم لائحة معينة.

في غضون ذلك، لا يزال الإرباك يسود صفوف تيّار المستقبل ونوّابه ومرشحيه بعد «تعليق الرئيس سعد الحريري العمل السياسي. وزادت هذا الإرباك أمس «صدمة» استقالة النائب السابق مصطفى علوش من منصبه نائباً لرئيس تيار المستقبل، ما يحرّره من أيّ التزامات تنظيمية ويجعل «ترشّحه في لائحة مع مقربين من التيّار، تحت مسمّى آخر، أمراً وارداً جدّاً»، بحسب ما أكّدت أوساط في المستقبل لـ«الأخبار».

في المقابل، طغى الحديث عن تباين بين النّائبين فيصل كرامي وجهاد الصّمد على السّاحة الانتخابية، علماً أن «اختلاف المقاربات» بين الرجلين بدأ مع تسمية الصّمد الوزير السّابق الفضل شلق لتأليف الحكومة بدلاً من السّفير مصطفى أديب، وحجبه الثقة عن حكومة الرئيس حسّان دياب لعدم تمثيل الضنّية في حكومته، صعب في الضّنية، أنّه شرطه لأي تحالف مع كرامي أو غيره «رفض التحالف مع التيّار الوطني الحرّ أو القوّات اللبنانية أو أيّ فريق لا ينسجم مع قناعاته السّياسية». كما أنه يتحفّظ عن التحالف مع رئيس «المركز الوطني في الشّمال» لأنّ «الانتخابات لا تُخاض بالعواطف والعلاقات الشّخصية والاجتماعية، أو من باب تسجيل المواقف، بل تخضع لحسابات دقيقة بهدف تعزيز فرص الفوز وضمان النّجاح». وهو يصرّ على التعاطي معه كـ«شريك سياسي قبل أن يكون شريكاً انتخابياً، وأن يكون له رأي في تشكيل أيّ لائحة يكون في عدادها، وتحديداً في قضاء المنية - الضنية»، مؤكّداً أن «مروحة الخيارات أمام الصمد واسعة. فإلى كرامي، هناك انفتاح جدّي على الرئيس نجيب ميقاتي، كما أنّ هناك اتصالات بينه وبين أطراف سياسية عدة، من بينها النّائب محمد كبارة والنائب السّابق محمد الصفدي وجمعية المشاريع الخيرية الإسلامية».

> تباين كرامي - الصمد يهدّد بفرط التحالف بينهما

وانسحابه من اللقاء التشاوري، وتسميته الحريري رئيساً مكلفاً، وصولاً إلى حجبه الثّقة عن حكومة ميقاتي الأخيرة.

وفيما سُرّبت معلومات بأنّ اتصالات كرامي قطعت شوطاً كبيراً لتشكيل لائحة يمكنها الفوز بأكثر من حاصلين حازهما كرامي والصّمد في انتخابات 2018، قالت أوساط مقربة من الصّمد لـ«الأخبار» إنّ التحالف بينهما «لم يُنجز بعد، والاتصالات لا تزال في مرحلة التشاور، وأيّ موقف نهائي لن يتبلور قبل إقفال باب الترشّح في 15 آذار». ونقلت الأوساط عن الصّمد الذي حاز في انتخابات 2018 أصواتاً تفضيلية زادت على الثقة عن حكومة الرئيس حسّان دياب صعب في الضّنية، أنّه شرطه لأي

تقرير

أوّل نقابة للنفسانيّين: انقسام على القانون التأسيسي

رحيل دندش

تُجرى اليوم أول انتخابات لنقابة النفسانيّين في لبنان في قطاع عانى طويلاً من فوضى أدّت إلى تنامي متخلي الصّفة والمتطفّلين على الاختصاص، ما أفقد الكثيرين الثقة بالعلاج النفسي برمّته.

تأتي ولادة النّقابة في وقت يرزح اللبنانيون تحت وطأة ضغوط اقتصادية وسياسية وصحية تؤثر على الصحة النفسية والعقلية. وتبدّى ذلك، بحسب البرنامج الوطني للصحة النفسية، في زيادة العوارض النفسية كالكرب واضطرابات الاكتئاب وما بعد الصدمة والقلق فضلاً عن زيادة المشكلات العائلية والعنف المنزلي والمجتمعي واللجوء إلى تناول الأدوية المهدّئة من دون استشارة طبية ونفسية. إذ تُشير الدراسات إلى أنّ شخصاً من بين كلّ أربعة في لبنان يعاني من اضطراب نفسي، فيما 1 إلى 10 في المئة منهم فقط يتلقّون العلاج النفسي لاعتبارات اجتماعية (الوصم المتعلّق بالمرض النفسي) واقتصادية (لا يمكن لكثيرين تحمّل كلفة العلاج).

ويهدف إنشاء النقابة إلى وضع معايير عملية وأخلاقية للعمل النفسي، وتأطير المدارس العلاجية وتسجيلها ضمن الأصول القانونية، لحماية المهنة من الدّخلاء، وحماية المرضى والتأكّد من حصولهم على الرعاية والعلاج النفسي المبني على الأصول العلمية، إضافة إلى تأسيس صندوق تعاضد للمنتسبين، والمتابعة مع الهيئات الضامنة لتغطية تكاليف العلاج النفسي، ما من شأنه توسيع دائرة المستفيدين من خدمة التحليل والعلاج النفسي، إلى جانب وضع التعرفة والحد الأدنى لكلفة التدخلات العلاجية.

الانتخابات تُقام عملاً بالقانون رقم 254 (13 كانون الثاني 2022) القاضي بإنشاء نقابة للنفسانيّين. وتخوض المنافسة لائحتا «معاً نبني نقابة» و«نحو نقابة جامعة». وكان مقرراً تشكيل لائحة تفوز بالتزكية قبل أن تنقسم لجنة إعطاء إذن مزاولة المهنة في وزارة الصحة (مؤلّفة من 7 نفسانيين) حول البند الثالث من المادة الرابعة من القانون. إذ نصّ على إمكانية إعطاء كلّ من مارس المهنة منذ أكثر من 7 سنوات من دون حيازة شهادة على علم النفس إمكانية الانتساب للنقابة بعد خضوعه لامتحان، وهو ما «يتعارض مع العمل النفسي ويضرّ به»، بحسب المرشحة لمركز النقيب عن لائحة «نحو نقابة جامعة» نازك الخوري التي نفت توقيع كل أعضاء لجنة مزاولة المهنة عليه، مشيرة إلى أنّ «البند الخطيئة» أُدخل على النص داخل لجان مجلس النواب «من دون علم بعض أعضاء اللجنة به، لذلك طلبنا تعديل القانون فيما وافق أعضاء اللائحة الأخرى على السّير به».

المرشحة إلى مركز النقيب في لائحة «معاً نبني نقابة»، ليلى عاقوري، من جهتها، أوضحت إلى «الأخبار» أنّ «المشترع درج في كل القوانين الجديدة على وضع أحكام انتقالية تراعي مبدأ الأقدمية والوضع السابق على القانون»، مؤكّدة أن القانون «أخضع الأشخاص الذين يمكن أن يستفيدوا من الاستثناء في الانتساب إلى النقابة وإدراجهم في خانة المعالجين النفسيّين لشروط صارمة وقاسية كمضيّ 7 سنوات على ممارستهم لمهنة النّفساني من دون حيازة شهادة في علم النفس العيادي، والنجاح في امتحان الأهلية الذي يجريه مجلس النقابة، وهو مطابق لامتحان الكولوكيوم في علم النفس العيادي الذي تجريه وزارة التربية والتعليم، وإتمام دورة تدريبية مع النجاح في امتحان الأهلية والتقدم لطلب تسوية أوضاعهم ضمن مهلة سنة من تاريخ انتخاب أول مجلس نقابة». ونبّهت عاقوري إلى أنّ «ما يُكتب ويُشاع على وسائل التواصل الاجتماعي يضرّ بسمعة المهنة وكان يمكن للمعارضين الطّعن في القانون أمام المجلس الدستوري».

ويبلغ عدد العاملين في المجال النفساني، من حملة إجازة مزاولة المهنة، عيادي وتربوي، نحو 830 من خرّيجي الجامعة اللبنانية والجامعات الخاصة. وتتنافس اللائحتان على مركز النقيب و11 عضواً في الانتخابات التي ستُجرى في «بيت الطبيب» في بيروت.

حرب البروباغاندا العالميّة: غرب الرأي الواحد

أسعد أبو خليك *

ليست هي الحربَ الباردة. لا. العالم لا يقف على أرجوحة وليس هناك من تـوازٍ في القوّة العسكريّة وفي إرادة السيطرة. أميركا أعلنت عن طموحاتها بصراحة كليّة في «استراتيجيّة الأمن القومي» في عهد ترامب وفي عهد بايدن، في آذار من العام الماضي (كل إدارة تصدر مثل هذه الوثيقة كي تلخّص رؤيتها الإستراتيجية معلّقة بقناع سميك من الدعاية السياسيّة). أميركا ـ لو تتابع تصريحاتها وإعلاناتها وفرماناتها عن كثب ـ صريحة في إعلان نيّاتها. هي اعترفت بصريح العبارة أنها ستمنع بالقوّة بروز منافسين لها في السيطرة العالميّة الكليّة. ممنوع على دول العالم التفكير ـ مجرّد التفكير ـ بالصعود أو زيادة النفوذ أو المنافسة. أميركا تعترض بصفاقة على زيـادة الإنـفـاق العسكري الصيني فيما هي تحتفظ بأعلى نسبة إنفاق في العالم، كما أن ميزانيّتها أكبر بثلاث مرّات من ميزانيّة الصين العسكريّة. إستراتيجيّة بايدن الأخيرة اعترفت رسميّاً أن الصين «باتت أكثر إصراراً» على الساحة الدوليّة. لم يعد العالم كما أرادته أميركا بعد انهيار الاتحاد السوفياتي. كان مفترضاً أن تنتهي أي منافسة للولايات المتحدة من أي بقعة من العالم، وأميركا خاضت حروباً في الشرق الأوسط وفي يوغوسلافيا السابقة من أجل تثبيت مبدأ السيطرة العالميّة الواحدة. معاناة الشعوب لا تعنيها البتّة. لم تكترث أميركا لوضع أفغانستان بعد أن تركته لفصائل ابن لادن وغيره ممّن سلّحت وموّلت في سنوات الحرب الباردة، وهي لم تكترث لوضع روسيا بعد انهيار الاتحاد السوفياتي. الحرب الروسيّة الوحشيّة في الشيشان جرت في عهد يلستن، دمية الإمبراطوريّة الأميركيّة.

أعيش في الغرب وأسافر فيه منذ أوائل الثمانينيّات ولا أذكر أنني عشتُ في مرحلة الدعاية السياسيّة الواحدة المتسلّطة كما أعيشها اليوم. حتى في سنوات الحرب الباردة في الثمانينيّات، عندما حكم ريغان المعبود ـ بالرغم من ظهور عوارض الخرف عليه في إدارته الثانية ـ ووصف المنظومة الشيوعيّة «الإمبراطوريّة الشرّيرة» كان هناك إجماعٌ على نبذ الشيوعيّة في الحزبَين الحاكمَين لكن كان هناك أصوات مُعارضة في داخل الكونغرس تعارض الحصار ضد كوبا وتعارض سياسات التدخّل في أميركا اللاتينيّة. الكونغرس الأميركي سنّ تعديل قانون «بولاند» في 1982 و1983 لمنع الحكومة الأميركيّة من قلب النظام الشيوعي في نيكاراغوا. هذه المعارضة مستحيلة اليوم. هناك حالة إجماع مخيف وتخوين. لا تشعر أن هناك حتى مساحة ديموقراطيّة شكليّة في دول الغرب عندما تنطلق المدافع او عندما تتحضّر دول حلف شمال الأطلسي لإطلاق المدافع. ليس هناك من معارضة في أميركا. الوسط واليسار واليمين في خندق واحد وهو يشمل العالم برمّته. في عصر الإنترنت التجييش يطال كل إعلام العالم. تنبتُ مواقع «إعلام جديد» و«مستقل» ـ وليس وصف المستقل إلّا إشارة لتمويل حكومي غربي ومن جورج سوروس ما يسبغ عليها، برأيها، صفة الاستقلاليّة والحياد ـ ولا يجمعُ بين هذه المواقع إلا محاربة مقاومة إسرائيل ورفض سياسات تطبيعيّة ودعم متعدّد الدرجات لأنظمة طاعة أميركا والحرص على الديموقراطيّة في سوريا وإيران ولبنان (تماماً مثل أجندة مؤسّسة سمير قصير). تقرأ نفس المقالات والتعليقات بالعربية والإنكليزيّة. رابطة الكتاب هنا نظّمت عريضة تأييد لحكومة أوكرانيا ولموقف حلف شمال الأطلسي. تقرأ المئات من أسماء الكتّاب ويطالعك أسماء كتّاب عرب تعرفهم من صحف النظام السعودي أو القطري.

هناك إعلاميّة لبنانيّة في محطة «إم‌تي‌في» أبدت استغرابها قبل أيّام أنّ هناك نزعات عنصريّة في إعلام الغرب. لا، ليس هناك من نزعات عنصريّة. كل الإعلام الغربي إعلام عنصري ويديره جاهلون في الكثير من الأحيان. في سنوات دراستي العليا في واشنطن عملتُ مستشاراً في شبكة «إن. بي. سي» الأميركيّة وتعرّفت إلى رئيس الشبكة وإلى المديرين وإلى محرّر الشؤون الدوليّة فيها، جيري لامبريكت (أشرف على تغطية سقوط جدار برلين للمحطة). سرعان ما فقدتُ انبهاري بإعلام كنتُ أسمع عنه وأنا في لبنان. كان هؤلاء يتعاملون معي أنا العربي كأنني من كوكب آخر، وكان هذا يفاجئني لأنّ هؤلاء سافروا في كلّ أقطار الأرض ونالوا شهادات من جامعات معروفة. أذكر كيف كانوا يسألونني: هل أنت لا ترتدي ربطة عنق لأن الرسول منعها في الإسلام؟ وكنت أردّ: لم يكن في زمن الرسول ربطات عنق أو سيّارات كي يحرّمها أو يحلّلها. الإعلام الغربي بات أكثر راحةً في التعبير عن العنصريّة. هناك ردّة في المجتمعات الغربيّة وهي تظهر في نقاشات انتخابات الرئاسة الفرنسيّة. كنتُ أنظر إلى فرنسا في السبعينيّات على أنها أقلّ عنصريّة من اليوم، لكنها اليوم ـ بلد الثورة الفرنسيّة ـ باتت أكثر مجاهرةً بالعنصريّة والعداء للإسلام من كلّ الدول الغربيّة. لكنّ الإعلام الغربي المُجمع صوَّب الأمور: لم يعد هناك من ذرائع عن الحرّية وعن التحرير وعن حقوق الإنسان. كانوا يقولون لنا بصريح العبارة هذا الأسبوع: هذه أزمة من نوع آخر لأن شعب أوكرانيا غربي وشعره أشقر وعيونه «ملوّنة» (لماذا نقول نحن العرب عن العيون ذات اللون غير الداكن أنها ملوّنة؟ وهل الوانها الداكنة ليست ألواناً؟ هذه مفاهيم عنصريّة نستبطنها ولا نُخضعها لتفكيك ونقض). أيّام فقط وهبّ كل الغربيّين (حكومات وإعلاماً وشعوباً ويساراً) منادين بتسليح أوكرانيا وبفرض عقوبات ومقاطعة ضد روسيا والروسيّين. أيّام فقط ونسوا وعظهم لنا عن ضرورة الالتزام بمعايير اللاعنف والالمقاطعة في مواجهة عدوان واحتلال إسرائيل. لم يذكر أحد من هؤلاء العنصريّين اسم «جين شارب» الذي قالوا لنا في زمن الانتفاضتين العربيّة إنّه يوصينا بقرع الطناجر فقط ـ على طريقة «ثوار» لبنان التهريجيّين. أيّام فقط وتحرّك الضمير الغربي على أنواعه وأشكاله. ونحن، بعد عقود طويلة من الاحتلال والعدوان الإسرائيلي لم نحصل على حق رمي الحجر على العدوّ. إدوار سعيد كاد أن يتعرّض للطرد من جامعة كولومبيا بعد أن شوهدَ يرمي حجراً رمزيّاً عبر الحدود مع فلسطين من لبنان (واستغرق في شرح الأمر كي تنتهي الأزمة ولا تكبر، وهي كبرت كثيراً).

كارلوس لطوف (البرازيل)

ليس هناك من حرّية إعلاميّة في الغرب. هناك تعدّد إعلامي لكن ليس من حريّة إعلاميّة. 1) هناك أولاً موانع ماليّة لتملّك وسيلة إعلاميّة (وهذه الموانع موجودة في لبنان من خلال رخصة التلفزيون او امتياز صحيفة، إلخ). والموانع الماليّة تزداد ما يزيد من الاحتكار المالي ويجعل وسائل الإعلام محصورة في أيدٍ أقلّ بكثير من قبل. كان يمكن أن تصدر جريدة بمال العائلة قبل ستّين او سبعين سنة، هنا او هناك. هذا لم يعد متاحاً. لهذا، فإن ظاهرة تملّك أصحاب المليارات لوسائل الإعلام باتت منتشرة في كل العالم. جيف بيزوس صاحب «واشنطن بوست» والعائلة الثريّة التي تملك «نيويورك تايمز» استعانت بتمويل من كارلوس سليم في المكسيك قبل بضع سنوات عندما مرّت الجريدة بصعوبات ماليّة (الوضع المالي لـ«نيويورك تايمز» بات أفضل بكثير كما شرح رئيس التحرير التنفيذي في مقابلة له في «نيويورك» وذلك بسبب الاشتراكات العالميّة التي تجنيها صحيفة لم تكن تبيع أكثر من مليون نسخة في كل أنحاء الولايات المتحدة). إعلام السياسة الداخليّة له هامش من داخل صراع الحزبَين حول الضرائب والهجرة، لكنّ إعلام السياسة الخارجيّة أضيق بكثير وتتنفي هوامش الاختلاف في حالة الحرب او في حالة التحضير للحرب. كما أن صحافة الغرب كانت تعتمد على خبراء متخصّصين كمراسلين في الماضي. اليوم، هي لا تستثمر في ذلك. هذه مراسلة «نيويورك تايمز»، فيڤيان لي، لم تدرس الشرق الأوسط في حياتها ولا تعرف أيّ من لغات المنطقة لكنها اليوم مراسلة جوّالة في كل العالم العربي لا بل تتضمّن مقالاتها شروحات حول معاني مصطلحات عربية. كأن أشرح لكم معاني مصطلحات في الصينيّة. ومراسلة «واشنطن بوست»، ليز سلاي، وهي بالفعل أسوأ مراسلة غربيّة في التاريخ المعاصر، ترفّعت أخيراً إلى مرتبة مراسلة مطلقة الصلاحية. وهي تخصّصت في تغطية العالم العربي من دون أن تعرف المنطقة دراسياً أو لغوياً. ليز سلاي كانت تعيّنُ وتحرّض ضد روسيا على مدى الأيام الماضية، تماماً كمواقع «درج» وميغا الناتو ـ سركيس نعوم اللذان أثبتتا أن مواقع التمويل الغربي تصطفّ وتضرب التحيّة عندما يحتاجها الغرب. والتحريض الذي يقوم به الصحافيون الغربيّون يفقد الوظيفة لو كان موجّهاً ضد إسرائيل مثلاً.

> لا تشعر أنّ هناك حتى مساحة ديموقراطيّة شكليّة في دول الغرب عندما تنطلق المدافع او عندما تتحضّر دول حلف شمال الأطلسي لإطلاق المدافع
>
> الغرب برمّته يمنع وصول محطات روسيّة عن الملايين لأن ما تتضمّنه يخالف السردية السائدة. والصحافة اللبنانيّة الـ«كول» تشارك في هذه الحرب الدعائية بصفاقة قلّ نظيرها

ليست مقالات الأمن القومي والسياسة الخارجيّة في صحف الغرب إلا منابر لدوائر الاستخبارات الغربيّة. الكاتب ديفيد اغناطيوس (وهويكتبُ عن منطقتنا ولكنه غير متخصّص فيها وكتابه «عملاء البراءة» عن العلاقة بين بوب إيمس وأبو حسن سلامة شبّق) له مصادر في المخابرات الأميركيّة وفي مخابرات عدد من الدول العربيّة، مثل الأردن والسعودية والإمارات ومصر. الصحافة الغربيّة حضّرت لهذه الحرب لأنها كانت تنشر بلا كيف مقالات منقولة عن المخابرات الأميركيّة وتسريباتها (يروي رئيس التحرير التنفيذي لـ«نيويورك تايمز» في مقابلته المذكورة أعلاه كيف أنه أوقف نشر مقالة بسبب طلب من المخابرات الأميركية). والمقالات تتوالى في الصحف

> من دون توثيق: مقالة في «واشنطن بوست» تقول إن بوتين مختلّ عقليّاً. تقرأ المقالة الطويلة بعض الشيء كي تصل إلى المصدر الوحيد فيها، السيناتور مارك روبيو (وهو سيناتور يميني رجعي). مقالة أخرى تتحدّث عن عزلة يعيشها بوتين وأنه غاضب. المصدر؟ مقالة صحافية تعتمد على تقرير لمكتب التحقيقات الفيدرالي، الذي ينقل عن مصدر وهو بدوره نقل عن مصدر يقول إنه سمع أن بوتين غاضب. «نيويورك تايمز» كشفت اليوم أنّ خطب مندوب أوكرانيا في الأمم المتحدة مكتوبة من قبل مكتب علاقات عامّة مرتبط بالحزب الديموقراطي في واشنطن (وخطب المندوب تكرّر لازمة، أن بوتين هو هتلر. وتذكر أن خطب الموالين لأميركا في المعارضة العراقيّة كانوا يقولون إن صدّام هو هتلر ـ نعلم أن مكتب علاقات عامّة في العاصمة كان يساعد في كتابة خطب هؤلاء. وقبله كان هناك عرفات هتلر وقذافي هتلر وبشار الأسد هتلر والحاج أمين الحسيني هو هتلر وعبد الناصر هو هتلر ـ وكان أحمدي نجاد من ضمن الذين تلقّوا وصف هتلر لكنه بات محترماً في الغرب بعد انضمامه لخط 14 آذار الإيراني وهو كتب قبل أيّام في مديح المقاومة الأوكرانيّة).

عشتُ أميركا بعد 11 أيلول. صحيح، الجو كان فاشياً وكان هناك حالة خوف وهلع في البلاد عند العرب. ينسى الناس أن مئات من العرب والمسلمين اعتُقلوا من دون سبب غير انتمائهم الديني والإثني ـ وكان سلام الزعتري، الإعلامي اللبناني، واحداً من هؤلاء الذين اعتقلوا، لكنه تفهّم الأمر فيما بعد. الجو مختلف هذه المرّة. كانت أميركا واثقة من نفسها ومن جبروتها في تلك الفترة وكانت الصين وروسيا منصاعتَين لها آنذاك. هذه المرّة هو صراع الكبار في أوروبا. العرق الأبيض يتصارع، وما على الصغار من الملوّنين إلا الانصياع لأميركا وحلف شمال الأطلسي. ليس بسيطاً أن مواقع لبنانيّة نبتت من أجل دعم ما تسمّيه (تهريباً) بثورة في لبنان وهي استنفرت هذا الأسبوع كي تضخّ بروباغندا حلف شمال الأطلسي. عبدالله بو حبيب حوّل سياسية لبنان الخارجيّة إلى مجرّد أداة بيد أميركا، فيما حوّل وزير الداخليّة سياسيّة لبنان الداخليّة إلى أداة بيد السعوديّة. لكن الاحتلال في لبنان هو... إيراني.

صدر قبل بضع سنوات كتاب «الإعلام الغربي النافذ والآزمة الأوكرانيّة» وهو يتعلق بأزمة أوكرانيا في عام 2014. الكتاب يتضمّن دراسات عن أسلحة الغرب في التضليل والكذب والخداع والمعلومات المغلوطة. الإعلام السائد ينقل عن حكوماته بلا كيف. من الأسلحة التقليديّة في الحرب الإعلاميّة (المذكورة في الكتاب) الإشارة إلى صور للأقمار الصناعيّة وتقول المخابرات الغربيّة إنها تُظهر بلا شكّ كذا وكذا. ولا تقوم وسائل الإعلام بالتشكيك وإنما بالنقل. وتصبح ساحة مواقع التواصل مجرّد ملعب لبروباغندا حكومات الغرب. الغرب ابتدع مفهوم التواتيليارية لكنه لم يكن إلا أداة لتعبئة الناس ضد العدوّ الشيوعي فقط (لم يكن إدراج النازيّة في التعريف إلا بهدف التشنيع بالشيوعية عبر مساواتها بالعدوّ النازي الذي كان العالم كلّه يعتبره ـ وعن حق ـ شرّ الشرور). التواتيليّة أنواع: منها ما هو مباشر: حيث يقوم النظام القائم، الصدامي أو الإماراتي الحالي بفرض سطوة وقمع منتشر ومكثّف بلا طوارئ. الإمارات تقول مثلاً إنها ستفرض عقوبة 15 سنة على كاتب تغريدة تخالف مشيئة الحاكم. وكليّة الإعلام (تحمل اسم محمد بن راشد المُستبدّ) في الجامعة الأميركيّة التجاريّة في دبي، تعترف أنها تعدّ تلاميذ الصحافة من أجل اعتناق وخدمة سياسات الحاكم. هذه تواتيليّة سهلة التبيّن والتبيان.

لكن التواتيليّة الأخطر هي التواتيليّة الأميركيّة. كشفت معلومات سنودن أنّ أميركا تقيم نظاماً تواتيلياريا عالميّاً لا يعترف بحدود الدول. وكالة الأمن القومي هي وكالة للتجسّس على سكّان الكرة الأرضيّة. لكن أميركا تفرض مراقبة أخطر، لأن الذي يُشارك فيها مختلف قطاعات الإعلام والدولة. تتعاون الدولة مع شركات التقنيّة والتواصل العملاقة من أجل مراقبة ومعاقبة المواطنين. أنا لم أسجّن بسبب تغريدات أو بوستات لكن تعرّضت لمساءلات وطرد من شبكة «فايسبوك» بسبب تعليقات أزعجت المنظمات الصهيونيّة في الغرب. لم أسجن لكن عُزلتُ في مكان خاص والسبب «الإخلال بمعايير الناس»، حسب وصف «فايسبوك» الذي يستعبر من لغة المحكمة الدستورية العليا في البلاد والتي منعت العري والإباحيّة تحت خانة «الإخلال بمعايير الناس».

الحرب الحاليّة لا تريد الرأي الواحد. هناك ناس تعترض وتثور لأن موزّع «كيبل» في الضاحية منع هذه المحطة او تلك. «الثوار» (اضحك كلّما اكتب الكلمة عن حالة لبنان) يقولون إنّ ذلك يخالف حرّية التعبير. صحيح. يجب ترك الناس تتلقّى ما تريد. لكن الدول العربية مجتمعة قرّرت منع محطات عن ملايين من العرب لأنها تزعج إسرائيل. كما أنّ الغرب برمّته يمنع وصول محطات روسيّة عن الملايين لأنّ ما تتضمّنه يخالف السرديّة السائدة. والصحافة اللبنانيّة الـ«كول» تشارك في هذه الحرب الدعائية بصفاقة قلّ نظيرها. الإعلامي نيشان نشر متأثراً صورة عن معاناة رجل أوكراني. لكن كل الإعلاميّين والفنانيّن اللبنانيّين في دبي ـ بيروت الذين كانوا ينشرون عن فلسطين توقّفوا بمجرّد المسارعة في التوقيع على اتفاقيّات التحالف الإسرائيلي ـ الإماراتي. لم يعد جائزاً التعرّض للاحتلال. جريدة «الشرق الأوسط» الصهيونيّة (التابعة لمحمد بن سلمان الراعي الحقيقي للتحالف العربي ـ الإسرائيلي) باتت تنشر على صدر صفحتها الأولى خبر تعيين عربيّة كسفيرة للعدوّ، وفي الصفحات الداخليّة تقرأ عن لمسات إنسانيّة لجيش العدوّ.

الهيمنة الأميركيّة تتوسّع في العالم العربي. هناك ناس لم تتحرّك ضمائرهم وقلوبهم إزاء المجازر في فلسطين واليمن ذرفوا الدموع مدرارة عن أوكرانيا. لكن هناك أكثر من عشرة آلاف ضحيّة قضوا في «دونباس» والإعلام الغربي أهملهم. هناك ضحايا مدنيون للقصف الروسي لكن البروباغاندا الأميركيّة تختار توقيت ومواعيد الفصل التاريخي لأي حدث. العراق اليوم مثلاً: التحليل العربي له هو أنّ العراق يعاني بسبب النفوذ والتدخل الإيراني. عليك أن تنسى أنّ أميركا دمّرت العراق عن بكرة أبيه، دمّرت هويّته ومجتمعه بعد احتلاله لسنوات طويلة. هناك في الصحافة العربيّة بكاء على وضع أفغانستان من دون إشارة إلى احتلال أميركي دام عشرين عاماً. أسابيع من حكم طالبان هي المسؤولة فقط. المشروع الأميركي في العراق ترافق مع حملة بروباغندا عملاقة: محطة «العربيّة» تأسست كمبادرة سعوديّة لإرضاء أميركا في دحض «الجزيرة»، عندما كانت «الجزيرة» قوميّة عربيّة. ومحطات وجرائد لبنانيّة تلقّت تمويلاً من الغرب للترويج لمشروع الاحتلال الأميركي، كما أن شركات استطلاعات وعلاقات عامّة من لبنان خدمت المشروع الأميركي هناك (كما رفيق الحريري الذي كان شريكاً مع أدوات الاحتلال، مثل آياد علاوي).

تتجه الديموقراطيّات الغربيّة نحو المزيد من أشكال سنّ التمييز والقمع العنصري. منع النقاب والحجاب (باسم الثورة الفرنسية، وهنا الطرفة) أو منع المآذن كما في سويسرا واعتبار الغرب المسيحي (وإسرائيل) حالة تـفـوّق حضاري تسمح لها بقتل وقمع الغير. الغرب يتجه أيضاً نحو فرض الرأي الواحد: يُسمح لليمين واليسار مناظرة السياسات الداخليّة (إجهاض وضرائب وتعليم وصحة) لكن في السياسة الخارجية والدفاع يتمّ تقنين وتضييق مساحة الحوار. برني ساندرز وإلهان عمر كانا ناطقيْن باسم الناتو هذا الأسبوع، كما باقي أفراد الكونغرس (وكما ميغا سركيس نعوم-ناتو في لبنان). قوانين التعبير عن فلسطين تضيق وتضيق باستمرار بدل أن تتسع مساحة الحوار. لا يمكن لعربي مُجاهر بدعم فلسطين اليوم أن يحظى بمنصب أكاديمي في أي جامعة غربيّة. واليسار الغربي يزداد التصاقاً بـ«الناتو» وهو يستعين بتفسير لا يمكن إلا أن يكون مصادراً عن مطابخ البروباغندا الأميركيّة: إن هناك إمبرياليات في العالم، روسية وإيرانية وربما أحياناً قليلة أميركيّة.

أميركا والغرب يعيشون لحظة عنصريّة مفصليّة. الصحافة هنا أخرجت بوتين من العنصر الأبيض وهي تولول أنه يشنّ حرباً على الحضارة الغربيّة. صحافة تقول إنه يمثّل القمع الآسيوي. طلّقوا روسيا من جغرافيتها. الحرب مستعرة لكن البطش والجبروت الأميركي قد يرتدّ عليها كما ارتدّ عليها في حروب ضد خصوم أضعف بكثير من روسيا غير الشيوعيّة. قد نحتاج إلى ربط أحزمة الأمان عمّا قريب.

* كاتب عربي. حسابه على تويتر @asadabukhalil

فتّش عن واشنطن!

سعد الله مزرعاني*

تغيير السياسيات والأنظمة والسلطات بالقوة، من قِبَل قوة أو دولة خارجية، هو أمر مرفوض تماماً لأنه ينتمي إلى شريعة الغاب حيث يسود القوي ويُقهَر الضعيف. الدفاع عن النفس هو حق مقدَّس وفق كل المعايير والأعراف والقوانين الدولية والإنسانية. هذا من حيث المبدأ. هذا، أيضاً، ما ينبغي أن يحكم العلاقات بين الدول والشعوب لكي تسود مبادئ العدالة والاستقرار والسلام.

لا تسير الأمور على هذا النحو في منطقتنا وفي العالم، رغم نيل كل المستعمرات السابقة استقلالها السياسي، باستثناء الشعب الفلسطيني المنكوب بأبشع استعمار استيطاني عنصري في التاريخ. المثال الملتهب الجديد على ذلك هو غزو الجيش الروسي لدولة أوكرانيا، إثر تدهور العلاقات بشكل دراماتيكي بين حكومتَي روسيا الاتحادية وأوكرانيا. بيد أنه، بالاستناد إلى التجربة، وتوازنات ما بعد الحرب العالمية الثانية، والإستراتيجيات المعتمدة من قبل الدول الكبرى، وخصوصاً الإمبريالية منها، ورغم تبدّل وتنوّع أساليب الهيمنة والتوسع، فإنه عندما يجري الحديث عن الغزو واستخدام القوة والتدخّل في شؤون الآخرين لتغيير السياسات والأنظمة، فإنّ أوّل من وما يتبادر سوء ذكره إلى الذهن، إنما هو حكام وسياسات الولايات المتحدة الأميركية على مستوى العالم، ودولة العصابات الصهيونية على مستوى الشرق الأوسط. كان لروسيا «السوفياتية» و«الاتحادية» دور قديم وجديد، محدود ومحصور، في هذا الميدان: التدخل في المجر وتشيكوسلوفاكيا في الحقبة السوفياتية، وبعدها، في جورجيا و«القرم»، وحالياً في أوكرانيا. وكذلك فإنه على مستوى المنطقة، يمكن التذكير بأنّ مصر الناصرية تدخلت في اليمن عام 1962. العراق بقيادة صدام حسين غزا واحتل الكويت عام 1990. أمّا المملكة السعودية فقد قادت قوات «درع الجزيرة» الخليجية إلى البحرين عام 2011 لقمع احتجاجات شعبية منافضة للسلطة. كذلك قادت، وما تزال، منذ عام 2015، تدخلاً عسكرياً في اليمن لحسم صراع داخلي على السلطة ضد «أنصار الله» (الحوثيين). لا ينبغي أن ننسى التدخلات العسكرية الفرنسية في كوريا وأفريقيا وآخرها كان ضد نظام معمر القذافي في ليبيا عام 2011. أمّا بريطانيا، فكانت ولا تزال تابعة وشريكة دائمة لواشنطن في كل سياساتها وخططها ومشاريعها ومغامراتها العسكرية والتوسعية: بأساليب الغزو والاحتلال والانقلابات... من فيتنام إلى أفغانستان والعراق وسوريا... هذا غيض من فيض.

وبينما يبدو الأمر، بالنسبة لمعظم الأطراف والحالات، طارئاً أو مؤقتاً ومرتبطاً بتوترات وتباينات وتهديدات فعلية أو مفتعلة في هذه المرحلة أو تلك، ترتبط الحالتان الأميركية والإسرائيلية، بامتياز، باستراتيجيات متكاملة للعدوان والتدخل لتغيير الأنظمة والسياسات ولفرض الهيمنة والتبعية والنهب وانتهاك السيادة والسطو على الثروات. وهي لذلك لا تتوسل أسلوباً واحداً فقط، أي الغزو والاحتلال، وبالتالي استخدام القوة لسنوات وعقود، كما في حالتَي العراق وأفغانستان. إنها تستخدم أيضاً أساليب أخرى، قد تكون أكثر أذىً وفتكاً، كتنظيم الاغتيالات والانقلابات: في عدد من البلدان الأفريقية والأميركية الجنوبية التي كان انقلاب تشيلي عام 1973 أكثرها فظاعة ووحشية. كذلك تلجأ واشنطن إلى إثارة الفتن والحروب الأهلية، وتنظيم الحملات الدعائية والإعلامية الموجهة والمموّلة على أوسع نطاق. كما حصل في استخدام موجة الاحتجاجات التي حملت اسم «الربيع العربي» و«الثورات الملونة». وقد تم اختبار ذلك بنجاح منذ «الحرب الباردة» وانهيار الاتحاد السوفياتي وما بعد ذلك، في كل دول المنظومة الاشتراكية السابقة (بما فيها أوكرانيا وصولاً إلى آخر المحاولات في بيلاروسيا).

> نعم سياسات الولايات المتحدة و«سوابقها» لم «تلهم» الآخرين فقط، ومنهم القيادة الروسية في غزو أوكرانيا الحالي، بل هي أيضاً لعبت الدور الأكبر في تغيّر الوضع في أوكرانيا نفسها

بالنسبة لأوكرانيا نفسها، بدأ ذلك خصوصاً عام 2008 حين اتخذ «الناتو» قراراً بدعوة كل من أوكرانيا وجورجيا للانضمام إلى عضويته. كان ذلك يعني المضيّ في سياسة تفكيك وتحجيم روسيا وإضعافها، خصوصاً بعد أن بدأت تتعافى وتتماسك على المستويات كافة، ما يؤهلها لأن تستعيد موقعها الدولي السابق بهذه الطريقة أو تلك.

نعم سياسات الولايات المتحدة و«سوابقها» لم «تلهم» الآخرين فقط، ومنهم القيادة الروسية في غزو أوكرانيا الحالي، بل هي أيضاً لعبت الدور الأكبر في تغيّر الوضع في أوكرانيا نفسها بالجيء برئيس موالٍ لها عام 1914، ثم في الانقلاب عليه للمجيء برئيس أكثر مطواعية عبر النجاح المفاجئ للرئيس الحالي زيلينسكي منذ حوالى ثلاث سنوات. في ظل ولاية الرئيس السابق، والرئيس الحالي خصوصاً (وفريق وجماعات المتطرفين من حلفائه)، تتواصل: تغذية السياسات والأعمال العدائية من قبل السلطات الأوكرانية ضد الجارة الكبرى والأقرب روسيا الاتحادية. عملية التسليح الواسع بالتعاون مع الغرب. محاولة تغيير الاتفاقات الدولية كـ«اتفاقية مينسك» لعام 2014. السعي لامتلاك سلاح نووي، وللانضمام إلى حلف «الناتو». والاستعداد لاستقبال درع صاروخية استراتيجية أميركية على بُعد بضع مئات من الكيلومترات عن العاصمة الروسية. اضطهاد الأقليات الروسية الكبيرة في أوكرانيا... وسوى ذلك من سياسات سوء الجوار الرعناء والمغامرة التي شجعت واشنطن عليها جميعها وبشكل منهجي ومثابر. تسعى واشنطن نحو تحقيق هدف أساسي أيضاً هو التحريض على القيادة الروسية وإثارة الأزمات في وجهها، خصوصاً بعد تحوّلها قوة عالمية عظمى تعارض الكثير من السياسات والتوجهات الأميركية حول العالم وتوطد علاقاتها مع العملاق الصيني خصوصاً... أدى كل ذلك إلى نفاد صبر موسكو واللجوء إلى القوة لنزع صاعق الخطر الأكبر بتطويق روسيا ومنعها، سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، من أن تكون لاعباً دولياً يليق بما تملكه من قدرات وإمكانيات وثروات. وما تأخذه الآن واشنطن على موسكو كانت هي دائماً السباقة إليه وخصوصاً في تجاهل الشرعية الدولية: عندما غزت العراق عام 2003، لم تحفل بالأمم المتحدة وبمجلس الأمن، ولا حتى بالحلفاء في أوروبا باستثناء طوني بلير الإنكليزي الذي يواصل خلفاؤه دوره القذر، تابعين وشركاء في الجرائم الأميركية.

في السياق إياه، لم تضم أميركا القدس إلى أراضيها لكنها اعترفت بذلك للعدو الصهيوني وبيهودية الدولة أيضاً. لم ترسل جيشاً إلى الجولان السوري. لكنها اعترفت بضمه إلى الكيان الصهيوني المغتصب لأرض وحق شعب فلسطين. وتدير واشنطن معركة تدخّل في الشأن الداخلي اللبناني غير مسبوقة لفرض تغيير في السياسات الخارجية اللبنانية لمصلحة العدو الصهيوني في مسألتي التطبيع معه نزع سلاح المقاومة. وليس لمحاربة الفاسدين كما تدّعي وهم في معظمهم من أتباعها سياسياً وأقتصادياً وإعلامياً. واشنطن هي قوّة التدخل، بواسطة الغزو، الأولى في العالم. وقد صاغت في حقبة بوش الابن و«المحافظين الجدد» وترامب، استراتيجيات عدوانية وقحة للهيمنة والتفرد والنهب والعنصرية و«البلطجة»، عبر الحروب «الوقائية» كما حصل في العراق خصوصاً. إلى ذلك فواشنطن حاضرة في كل أزمات العالم، بشكل مباشر، أو عبر التحريض والوعود والأكاذيب والتآمر والعملاء. الشعب الأوكراني منكوب، وكذلك الشعب الفلسطيني واليمني والعراقي والليبي. ضحايا العنف والاحتكارات والتطرّف والعنصرية في كل مكان. لتحديد المسؤول الأول: فتّش عن واشنطن وشركائها!

* كاتب وسياسي لبناني

على الغلاف

إشهار سلاح «الكارثة النووية» كيف تلعب بالمحظور

لا حظر جوّياً فوق أوكرانيا

أكد الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، في اتصال مع المستشار الألماني، أولاف شولتز، انفتاح روسيا على الحوار مع أوكرانيا شرط تنفيذ جميع مطالبها. وأعرب بوتين عن أمله في أن تتّخذ كييف «موقفاً حكيماً وبنّاءً» خلال المفاوضات المقبلة. من جهته، دعا شولتز إلى «وقف العملية العسكرية الروسية على الفور، لضمان وصول المساعدات الإنسانية»، مؤكداً أن بلاده «ليست ولن تكون جزءاً من الاشتباك العسكري في أوكرانيا». وفي الاتّجاه نفسه، جزم الأمين العام لـ«حلف شمال الأطلسي»، ينس ستولتنبرغ، أن الحلف لن يقيم منطقة حظر جوّي فوق أوكرانيا، منبّهاً إلى أن ذلك يعني «حرباً شاملة في أوروبا، تتورّط فيها العديد من الدول الأخرى، وتتسبّب بمعاناة إنسانية أكبر بكثير».

وبالعودة إلى تصريحات بوتين، فقد دافع الأخير عمّا تقوم به بلاده بأنها تردّ فقط على الإجراءات السلبية المتّخذة بحقّها، داعياً الدول المجاورة إلى عدم توتير العلاقات مع روسيا. وطمأن إلى أن حكومته ستعمل على تعزيز البنية التحتية للنقل والخدمات اللوجستية، بالرغم من الصعوبات التي تواجهها، وأنها ستفي بجميع التزاماتها الاقتصادية تجاه الدول الشريكة الأجنبية. من جهتها، اتّهمت الاستخبارات الروسية، «الناتو»، بنقل مسلّحين «إرهابيين» إلى أوكرانيا، بعد إعدادهم في قاعدة التنف السورية الخاضعة للسيطرة الأميركية.

موسكو - **أحمد الحاج علي**

يبدو أن السلطات الأوكرانية، بقيادة فولوديمير زيلينسكي، لن تتردّد في اللجوء إلى أكثر الخيارات تطرّفاً، كلّما استشعرت بأن الخناق الروسي بدأ يضيق عليها. وفي هذا السياق على ما يبدو، تندرج سلسلة الحوادث، التي تقول روسيا إنها مفتعلة، في المنشآت النووية الأوكرانية، بهدف توجيه الاتّهام إلى موسكو بالمسؤولية عنها، ومن ثمّ اتّخاذها ذريعة للمطالبة بإقامة منطقة حظر جوّي فوق أوكرانيا. وفي آخر تلك الحوادث، نشب حريق في محطة زابوريجيا النووية الواقعة جنوب شرقي أوكرانيا (والأكبر في البلاد وفي أوروبا)، إلّا أنه اقتصر على المبنى الإداري، من دون أن يطاول منشآت المحطة، ما يشي بأن ثمّة عملاً تخريبياً وراءه يستهدف التهويل في شأن «كارثة نووية» ستتسبّب بها العملية الروسية. وكان التهويل المذكور بدأ قبل أيام، عقب حادثتَين اثنتَين: الأولى رفع مستوى الإشعاع في مفاعل تشيرنوبيل؛ والثانية استهداف مخزن النفايات النووية، لتأتي حادثة زابوريجيا وتشكّل المحطّة الثالثة في ذلك السياق.

في هذا الوقت، وبينما تستمرّ الوحدات اليمينية المتطرّفة من النازيين الجدد والقوميين العنصريين الذين يسمّون بـ«أنصار ستيبان بانديرا»، العميل الأوكراني الذي قاتل إلى جانب النازيين في الحرب العالمية الثانية، في ما تصفها موسكو بـ«الأعمال الاستفزازية»، ترصد الأجهزة الأمنية الاستخبارية الروسية برامج «تشات» (دردشة عبر وسائل التواصل الاجتماعي) في أوكرانيا، يتبادل المشاركون فيها رسائل ذات طابع إرهابي، ودعوات إلى قتل الجنود الروس، ويتداولون معلومات حول كيفية صنع زجاجات «المولوتوف» الحارقة، وتعليمات بشأن أماكن الأسلحة وكيفية توزيعها. ومن بين هذه المجموعات على سبيل المثال: «كومفورت تاون»، «كا تي ببرزنوفا 12»، «روتيردام تاون»، «فيدكريتا»، «جي كا ناوكوفبي». من ناحيته، أعلن المتحدث باسم وزارة الدفاع الروسية، اللواء إيغور كوناشينكوف، أن «القوميين في أوكرانيا يعدّون لعمليات استفزازية في مدينة خاركوف، تشارك في إخراجها وسائل إعلام أجنبية، بهدف استدراج ردّ بالنيران من مدفعية القوات الروسية باتجاه المناطق السكنية في مدينة خاركوف». وبحسب بيانات الوزارة، فقد نشرت القوات الأوكرانية راجمات صواريخ بين الأبنية السكنية، ومنعت المواطنين من مغادرة منازلهم. وفي وقت لاحق، أكدت «الدفاع» الروسية أنه تمّت السيطرة على محطّة زابوريجيا النووية من قِبَل القوات المسلحة الروسية ودائرة الرقابة النووية في أوكرانيا، وأن مختصّي المحطة يتحكّمون بعمل وحدات الطاقة، ويواصلون تشغيلها وفقاً لمتطلّبات اللوائح التكنولوجية للتشغيل الآمن.

> **تحدّث خبراء روس عن خمس قواعد ستُطبّقها القوات الروسية في المناطق التي تسيطر عليها**

وفي سياق متّصل، تحدّث خبراء روس، من بينهم فولوديمير روغوف، عن خمس قواعد ستُطبّقها القوات الروسية في المناطق التي تسيطر عليها في سياق عمليتها العسكرية، على رأسها: إعفاء المواطنين من الديون والقروض البنكية والرسوم والفواتير البلدية، على أن يتمّ تحديد الرسوم المقبلة على أساس الأسعار الروسية، وتطبيق نظام ضرائب ميسّر لرجال الأعمال الأوكرانيين الذين سيتمكّنون من الوصول إلى الأسواق الروسية، إضافة إلى وضع خطة لمساعدة المزارعين الأوكرانيين في حصاد مواسمهم.

على خطّ موازٍ، وفيما أعلنت مصلحة الاستخبارات الخارجية الروسية أن الأجهزة الأمنية للدول الغربية تنقل مسلحين إلى أوكرانيا، برزت تصريحات لافتة لرئيس الوزراء الأوكراني الأسبق، نيقولاي أزاروف، قال فيها إن سلطات كييف كانت تستعدّ لشنّ عملية عسكرية على جمهوريتي لوغانسك ودونيتسك الشعبيتين في دونباس في 25 شباط الماضي، أي بعد يوم واحد فقط من إطلاق العملية العسكرية الروسية الخاصة. وأضاف أزاروف أن «الناتو» كان يخطّط لنشر أربعة ألوية في أوكرانيا، بما فيها قوات محمولة جوّاً ومنظومات قادرة على حمل رؤوس نووية.

أفادت وزارة الدفاع الروسية بأن القوات الأوكرانية نشرت راجمات صواريخ بين الأبنية السكنية (أ ف ب)

النفط يستعيد أسعاراً من ثلاثة أرقام: دول الخليج «تزقزف»... وتشاكس أميركا

حسين إبراهيم

هل صارت أميركا ضعيفة إلى درجة أنّ الدول النفطية في الخليج، والتي كانت انطلقتها أو أسرها الحاكمة في السابق تعتمد على واشنطن كلّياً لحمايتها من مختلف أنواع المخاطر والمطامع الداخلية والخارجية، نأت في حرب أوكرانيا عن توريط نفسها مع الولايات المتحدة، وأثرت اتّخاذ موقف الانتظار ريثما ينجلي غبار المعركة؟

ما لا جدال فيه أنّ المحرّك الأساسي لسياسات حكّام الخليج هو غريزة البقاء، التي صار هؤلاء يملكون قرون استشعار تمكّنهم من استخدامها على أفضل وجه. ولا أكثر من دونالد ترامب يعرف هذا، فهو كان قد تنبّأ به، حين قال مراراً إن «تطفيش» هؤلاء سيدفعهم إلى أحضان الروس والصينيين.

في أيام معدودة، استدار الخليجيون دورة كاملة، مستخدمين القرون إيّاها التي التقطت الحاجة إلى اتّقاء شرّ «الدب الروسي» الراقص في أوكرانيا. وهكذا، صار الدفاع عن الأمن القومي الروسي مشروعاً بالنسبة لمحمد بن زايد، وبات القول إنّ تميم بن حمد استُدعي إلى البيت الأبيض على عجل، تهمةً يتعيّن نفيها فوراً بالنسبة لحمد بن جاسم بعدما كانت قبل أيام موضع تفاخر بتعاظُم دور الدوحة، بل إن اتّصالات الرئيس الأوكراني، فولوديمير زيلينسكي، بأمير قطر، حرج له أمام الرئيس الروسي. أمّا محمد بن سلمان فكان قد سبق الاثنين، وتحالف مع فلاديمير بوتين في «أوبك بلس»، لا لأنه «أشطر» منهما، بل لأنّ جو بايدن أعفاه من الحاجة إلى «الشطارة» بأن حرمه من «بركة» أميركا التي كانت حتى الأمس القريب شرطاً وحيداً للوصول إلى الحُكم أو البقاء فيه، فإذا بنيوبة ترامب تتحقّق بأسرع مما تخيّل، بعدما استحال «نعَس» جو، سباتاً شتوياً مديداً.

ولا حاجة لهؤلاء بقرون استشعار لمعرفة أنّ المال يشتري كلّ شيء. فهذا جرّبوه طويلاً، حتى بكاء المال الذي دفعوه رشى، إذا فرشتْه، يغطّي الكرة الأرضية بأكثر من طبقة تكتونية. وهذا يوصل إلى الطفرة النفطية الجديدة التي تُبيّن أن حكام الخليج مالوا مثلما نحو بوتين، طمعاً، لا حبّاً فقط. فعندما يصبح سعر النفط من ثلاثة أرقام (بلغ 118 دولاراً أوّل من أمس)، فهذا يعني حياة جديدة لحكّام لم يتوزّعوا عن القيام بأيّ شيء ليقوا أنفسهم شرّ السقوط، من التطبيع مع العدو الإسرائيلي، إلى تلويث أيديهم بدماء أبناء جلدتهم، عبر إذكاء الحروب، من سوريا إلى اليمن إلى ليبيا وغيرها.

قبل سنوات، عندما تهاوت أسعار النفط إلى الحضيض، أراد أمير الكويت الراحل، صباح الأحمد الصباح، إقناع شعبه بشدّ الأحزمة، فاستحضر مثلاً شعبياً يقول: «قال انفخ يا شريم، قال ما من برطم». ومعناه أنّ الأشرم ليست لديه شفتان لينفخ. «البرطم» كثيرة في الخليج هذه الأيام، كما دلّ اجتماع منتجي النفط الأخير الأربعاء الماضي، حين رفضوا مرّة أخرى الاستجابة لضغط أميركي وغربي، بتغيير سياسة الإنتاج، على رغم اقتراب البرميل من سعر 125 دولاراً الذي يرى خبراء اقتصاد كثر أنّ من شأنه إدخال أميركا في ركود تضخّمي يطيح أيّ فرصة لبايدن للبقاء في الحكم في انتخابات 2024، وكذلك احتفاظ الديموقراطيين بالسيطرة على مجلسَي الكونغرس في انتخابات التجديد النصفي في تشرين الثاني المقبل.

> **دول الخليج تدرك أنّ حضتها من النفط تمنحها هوامش مناورة كبيرة، تتّسع كلّما ارتفعت الأسعار**

لا يعني ما تقدّم أنّ دول الخليج خرجت أو ستخرج من العباءة الأميركية، وإنّما هي تدرك أنّ حصتها من النفط تمنحها هوامش مناورة كبيرة، تتّسع كلّما ارتفعت أسعار الذهب الأسود وصارت الولايات المتحدة بحاجة إليها أكثر، خاصة أن سياسة الديموقراطيين القائمة على تقليل الاعتماد على النفط المستورَد، من ضمن استراتيجية أوسع لتخفيف الاعتماد على النفط الأحفوري ككلّ، مترافقة مع محاولة لتخفيف الوجود العسكري الأميركي في الخليج، ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بتوتّر علاقة الإدارات الديموقراطية الأخيرة، بهذه الأنظمة، نظراً لما تمثّله حمايتها من عبء أخلاقي وكلفة مادية، خاصة بعدما تنامت الكراهية لأسر الحكم الخليجية، ولا سيما السعودية، في أوساط الأميركيين منذ 11 أيلول. هكذا، يصبح امتناع الإمارات عن التصويت في مجلس الأمن على مشروع قرار يدين الحرب الروسية في أوكرانيا، واتصال ابن زايد بوتين، مؤشّرَين إلى ميزة لدى أبو ظبي (يوفّرها النفط) تحسدها عليها تل أبيب، التي أربكها الحدث الأوكراني وحشرها في وضع صعب بين روسيا وأميركا. وهكذا أيضاً، يغدو حرد ابن سلمان على بايدن (رداً على مقاطعة الأخير له)، بحد صداه بين السعوديين، الكارهين لأميركا، والسعداء بارتفاع أسعار النفط.

تراجع السطوة الأميركية، ضمن المسير نحو عالم متعدّد الأقطاب، لا تظهر أعراضه في الخليج فحسب، المهند، مثلاً، التي تُعتبر حليفاً رئيساً للولايات المتحدة في صراعها الأبدي مع الصين، امتنعت هي الأخرى عن التصويت على مشروع القرار إيّاه في مجلس الأمن، في مؤشّر إلى عدم ثقتها بإمكان الاعتماد على تلك السطوة في تلبية حاجاتها النفطية، حيث النظام الأميركي الجديد لأسواق النفط والغاز يفترض أن تتركّز مبيعات النفط الخليجية، ولا سيما وقت الأزمات، على الهند التي تريدها واشنطن أن تصبح بديلاً من الصين، كمستهلك رئيس للنفط في العالم، لإضعاف موقع الأخيرة. وقد كان هذا، في غياب السعودية المفترَض الأمن على مشروع قرار يدين الحرب الروسية في أوكرانيا، واتصال ابن زايد بوتين، مؤشّرَين إلى ميزة لدى أبو ظبي (يوفّرها النفط) تحسدها عليها تل أبيب، التي أربكها الحدث الأوكراني وحشرها في وضع صعب بين روسيا وأميركا. وهكذا أيضاً، يغدو حرد ابن سلمان على بايدن (رداً على مقاطعة الأخير له)، بحد صداه بين السعوديين، الكارهين لأميركا، والسعداء بارتفاع أسعار النفط.

تراجع السطوة الأميركية، ضمن المسير نحو عالم متعدّد الأقطاب، لا تظهر أعراضه في الخليج فحسب، المهند، مثلاً، التي تُعتبر حليفاً رئيساً للولايات المتحدة في صراعها الأبدي مع الصين، امتنعت هي الأخرى عن التصويت على مشروع القرار إيّاه في مجلس الأمن، في مؤشّر إلى عدم ثقتها بإمكان الاعتماد على تلك السطوة في تلبية حاجاتها النفطية، حيث النظام الأميركي الجديد لأسواق النفط والغاز يفترض أن تتركّز مبيعات النفط الخليجية، ولا سيما وقت الأزمات، على الهند التي تريدها

مقابلة

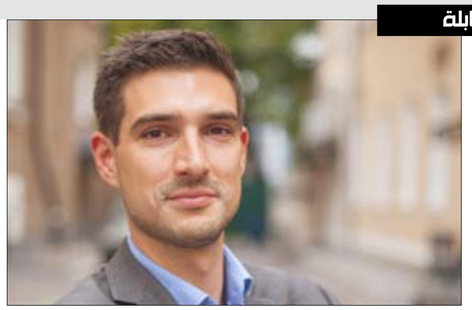
هناك بالحدّ الأدنى دعم معنوي وديبلوماسي صيني لروسيا

أجرتها **لينا كنوش**

إيغور دولانوي

نائب مدير «المرصد الفرنسي - الروسي» في موسكو

• الأوروبيون يلعبون دور «الشرطي السيّئ»

• ستحسم موسكو الحرب لصالحها رغم مصاعبها

■ لماذا لجأ الرئيس الروسي إلى الخيار العسكري؟ ألم يكن يستطيع الحصول على ضمانات من دون استخدام القوة؟

روسيا تطرح المطالب نفسها منذ حوالي 20 سنة، بشكل متكرّر وبأساليب مختلفة. استخدمت القنوات الديبلوماسية أحياناً، واستعرضت قوّتها في أحيان أخرى، لكن لم يسبق لنا أن رأينا ما نشاهده اليوم. وقعت الحرب في جورجيا في 2008، وفي 2014، انفجرت المواجهات في منطقة دونباس وتمّ ضمّ القرم، غير أننا لم نرَ شنّ عملية عسكرية مدروسة بدقّة وجرى الإعداد لها لأشهر طويلة. حشد القوات الروسية على الحدود مع أوكرانيا أدى إلى تطوّر سياسي لافت في كانون الأول 2021. استؤنف الحوار الاستراتيجي بين الأميركيين والروس، وجرى التطرّق إلى موضوعات أراد الأخيرون التباحث حولها منذ زمن طويل، كالهندسة الأمنية في القارة الأوروبية، وتوسيع التفاوض حول الحدّ من التسلّح، بما يتجاوز اتّفاقية ستارت الجديدة التي مُدّدت أخيراً.

تناولت موسكو، أيضاً، قضية الأسلحة النووية المتوسّطة المدى، ومسألة البطاريات الأميركية المضادّة للصواريخ. تمّ ذلك قبل اجتياح أوكرانيا، غير أن عدم تحقيق تقدّم حول ضمّ الأخيرة إلى الناتو هو الذي يفسّر المنعطف الحالي. هناك بُعدان في المواجهة المحتدمة: الأوّل محلّي أوكراني يتعلّق بعدم احترام اتفاق مينسك؛ والثاني يرتبط بالتحدّيات الأمنية في الفضاء الأورو-أطلسي. كان يُفترض أن يُفضي التقدّم في المباحثات حول البعد الأول إلى فتح آفاق إيجابية بالنسبة للثاني. لم ترغب كييف في تطبيق اتفاق مينسك، وعندما اقتنع الروس بأن الألمان والفرنسيين لن يمارسوا أيّ ضغوط عليها لتفعل ذلك، تغيّرت المعطيات، في ظلّ الحشد العسكري الروسي على الحدود.

■ هل أعدّ الروس عدّة سيناريوات لتدخّل عسكري قد يطول، أم أنهم باشروا به انطلاقاً من تقدير خاطئ لموازين القوى قد يفسّر المقاومة التي يواجهونها راهناً؟

بدأت العملية العسكرية منذ بضعة أيام، ومن الممكر تقديم تقييم جدّي لنتائجها، غير أن بإمكاننا إبداء بعض الملاحظات حولها. الانطباع الأوّلي هو أن التدخّل لم يكن منظّماً ومنسّقاً كما يُفترض، وأن عديد القوات المشاركة فيه ليس كبيراً. نرى تشتّتاً لهذه القوات التي أُرسلت إلى مناطق بعيدة عن قواعدها من دون توفّر إسناد لوجستي حقيقي. المعدّات والتجهيزات العسكرية المستخدَمة ليست أحدث ما تمتلكه روسيا. هناك آليات مدرّعة خفيفة تخلّى عنها الجنود الروس بسبب عدم توافر الوقود. كل ذلك يدفع إلى الاستنتاج بأن هناك مشكلة على صعيد التنظيم اللوجستي. ثانياً، لم يتوقّع الروس مقاومة بهذه الدرجة من الشراسة من قِبَل الأوكرانيين، بل هم اعتقدوا أنهم سيُستقبلون كمحرّرين. ففي مناطق أخرى خارج دونيتسك ولوغانسك، كانوا يظنّون أنهم سيلقون ترحيباً، غير أنهم لم يجدوه. ولكن، حتى لو كانت مدّة هذه العملية العسكرية أطول مما توقّعه الكرملين، فإن المسار الميداني سيتغيّر. لدى الروس تفوّق كمّي ونوعي في العديد والعتاد، لن يقوى الأوكرانيون على مقاومته لفترة طويلة.

■ ما هي الأهداف السياسية لهذه العملية العسكرية؟ وهل تغيير النظام في كييف هو أحدها؟

أعتقد أن هذا هو المنحى العميق الذي يَحكم العملية، وقد أفصح عنه فلاديمير بوتين في خطابه الذي اعترف فيه بجمهوريتَي دونيتسك ولوغانسك، عندما أشار إلى انعدام شرعية النخبة الحاكمة في أوكرانيا. حدّد الوفد الروسي الأهداف السياسية لموسكو خلال المفاوضات التي جمعته مع ذلك الأوكراني في بيلاروسيا، وهي اعتراف كييف بالسيادة الروسية على القرم، وباستقلال دونيتسك ولوغانسك بعد تنظيم استفتاء حول هذا الموضوع، وحياد أوكرانيا وصيرورتها دولة فيدرالية. ميدانياً، الهدف القصير المدى هو استكمال حصار كييف وعدد من المدن الكبرى الأخرى الواقعة في شرق البلاد، وتطويق القوات الأوكرانية الموجودة في هذه المناطق وعلى حدود الدونباس.

> **تزويد أوكرانيا بالسلاح يزيد من احتمال صدام مباشر بين «الناتو» وروسيا**

■ كيف تنظر موسكو إلى تطوّر موقف الأوروبيين الذين أصبحوا يقفون في جبهة واحدة مع الولايات المتحدة؟

في الواقع، ما نشهده اليوم هو جبهة غربية موحّدة خلف الموقف الأوروبي، لا الأميركي، الذي يتعامل مع الأوضاع، ظاهرياً على الأقلّ، بروية أكبر. هم لا يغلقون مثلاً مجالهم الجوي أمام الطائرات الروسية، على عكس الأوروبيين، ولم توقف بوينغ بيعها لقطع الغيار الخاصة بالطائرات، كما فعلت إيرباص. يُزايد الأوروبيون على الأميركيين في ميدان العقوبات المفروضة على روسيا. الأميركيون لا يريدون الذهاب إلى حدّ يدفع الروس إلى مزيد من التعاون مع الصينيين. هذا العامل الجيوسياسي يفسّر التروّي الأميركي. في كلّ الأحوال، الروس استعدّوا لجميع السيناريوات، وللعقوبات الأشدّ قسوة، باستثناء تلك المتعلّقة بموجودات مصرفهم المركزي. أمّا في ما عدا ذلك، فقد قاموا بتحصين اقتصادهم، وبفكّ ارتباط القسم الأعظم من مبادلاتهم التجارية الخارجية، ومن ديونهم الخارجية، بالدولار. قدر المستطاع. علاوةً على ذلك، من المفاجئ والمقلق أن يعمد الأوروبيون إلى تزويد أوكرانيا بالأسلحة - كصواريخ ستينغر المضادة للطائرات ..، والذي يُعدّ مشاركة في النزاع، من دون الإعلان عن ذلك. وإذا أعطوا الأوكرانيين طائرات مقاتلة، فنحن نتّجه نحو المجهول، لأن الروس سيردّون، مما يزيد من احتمال الصدام المباشر مع الناتو.

■ هل يرضي الموقف الصيني روسيا؟

هناك بالحدّ الأدنى دعم معنوي وديبلوماسي صيني لروسيا، على الرغم من التداعيات المحتملة للعقوبات على العلاقات بين البلدين. لا أظنّ أن الروس كانوا ينتظرون مساندة أكبر، ولا أنهم اقتنعوا بفرضية هجوم صيني على تايوان بالتزامن مع التطوّرات في أوكرانيا. لكن حجم العقوبات، بخاصة إذا اتّسعت لتشمل مجال الطاقة، ستسرّع التقارب بين بكين وموسكو. حتى الآن، لا نعرف مدى العقوبات المضادّة التي ستعتمدها الأخيرة، ولكن إذا تمّ وقف صادرات الغاز والنفط، فإننا سنشهد سيناريو يتلاءم مع مصالح الصين. هي ستوقّع عقوداً لاستيراد الغاز والنفط لعقود مقبلة، بشروط مثالية بالنسبة لها. ربّما تفسر الخشية من مثل هذا السيناريو الوضع الحالي، حيث يلعب الأوروبيون دور الشرطي السيّئ، والأميركيون، الشرطي الجيد.

على الغلاف

شرارات الحصار الغربي تطاول الحلفاء
خسائر بالجملة تنتظر تركيا

محمد نور الدين

تغلّبت الاعتبارات التاريخية والوطنية على ما عداها، في قرار تركيا إغلاق مضيقَي البوسفور والدردنيل أمام السفن الحربية الروسية والأوكرانية؛ ذلك أن الامتناع عن تطبيق الاتفاقية، وتحديداً مادّتها التاسعة عشرة، سوف يرتدّ سلباً على تركيا، ويفتح الباب أمام مطالبات دول أخرى، على رأسها الولايات المتحدة، بتعديل الاتفاقية ما دام هناك من لا يطبّقها. لذا، لا يُتوقّع أن تَعتبر روسيا هذه الخطوة عملاً عدائياً ضدّها، في ظلّ عدم حاجتها حالياً إلى سفنها الواقعة في البحر المتوسّط، وفي ظلّ العقوبات الغربية المفروضة عليها، والتي ستجد معها موسكو أن من مصلحتها المؤكّدة استمرار العلاقات الاقتصادية مع دولة في «حلف شمال الأطلسي» وقريبة منها، مثل تركيا. في المقابل، لا تزال هذه الأخيرة ثابتة على موقفها الوسطي ما بين الطرفَين الروسي والأوكراني، إذ إنه ليس لديها، كما قال وزير خارجيتها، مولود تشاويش أوغلو، «ترف الانحياز» إلى طرف ضدّ آخر. وفيما امتنعت عن التصويت في المجلس الأوروبي ضدّ إخراج روسيا من عضويّته، فقد حاول الرئيس التركي، رجب طيب إردوغان، التملّق للغرب، بالقول إن بلاده لا تعارض انضمام أوكرانيا إلى «حلف الناتو»، لأن هذا برأيه «يخدم السلام العالمي»، كما حيّا «المقاومة الوطنية الأوكرانية»، مقدّراً «الدور المقاوم للرئيس فولوديمير زيلينسكي».

لكن محاولة تركيا إمساك العصا من المنتصف، لا يبدو أنها تفلح في إبقائها بعيدة من عين العاصفة الاقتصادية الناجمة عن الأزمة الأوكرانية. ومع أن العقوبات الاقتصادية الغربية تهدف إلى جعل الاقتصاد الروسي ينهار، إلّا أنها تطاول بتأثيراتها الاقتصاد التركي من جوانب كثيرة. فمن أصل الصادرات الروسية البالغة 480 مليار دولار، هناك 27 مليار دولار إلى تركيا، معظمها شراء للطاقة من غاز ونفط. كما أن تركيا مع بيلاروسيا، تعدّان الدولتَين رقم أربعة في لائحة الصادرات الروسية، بعد الصين وهولندا وألمانيا. وتركيا هي الدولة السادسة المصدّرة إلى روسيا، بمبلغ 5,5 مليار دولار من أصل الواردات الروسية البالغة 293 مليار دولار، بعد كلّ من الصين وألمانيا والولايات المتحدة وبيلاروسيا وإيطاليا. كذلك، تبلغ صادرات تركيا إلى أوكرانيا، حوالى 3 مليارات دولار، وواردتها منها قرابة 4 مليارات دولار. وبذلك، يصل حجم التجارة الخارجية التركية مع كلّ من روسيا وأوكرانيا، إلى نحو أربعين مليار دولار، من أصل الحجم الإجمالي للتجارة الخارجية التركية، البالغ حوالى 500 مليار دولار، أي حوالى ثمانية في المئة. وعلى صعيد الاستثمارات، فإن قطاع البناء التركي ينشط بقوة داخل روسيا، حيث بلغ 11 مليار دولار من أصل حجمه العام في الخارج، البالغ 30 مليار دولار، أي أكثر من ثلثيه. كما أن للشركات التركية في مجال الألبسة الجاهزة، 267 محلّاً في أوكرانيا و655 محلّاً في روسيا.

وفي هذا السياق، ترى كبيرة الاقتصاديين في جمعية الصناعيين ورجال الأعمال الأتراك، غيزيم أوزتوك التينصناتش، أن التأثّر الاقتصادي التركي من الأزمة الأوكرانية، هو في مجال النفط والزراعة والسياحة، حيث ستتحمّل تركيا من جراء الأزمة أعباء إضافية لا تقلّ عن 30 - 35 مليار دولار. أمّا علي رضا غونغين، الباحث التركي في الاقتصاد، فيعتبر أن الحديث عن أن إخراج روسيا من نظام «سويفت» سيؤدّي إلى عزلها نهائياً، ليس دقيقاً، مشيراً إلى أن العقوبات الغربية ستضرب أيضاً الأسعار في الغرب، وتؤدّي إلى ارتفاع التضخّم. وحتى لو بذلت السعودية، وغيرها من دول «أوبك»، أقصى الجهود لتلافي تداعيات ارتفاع الأسعار، فلن تنجح في تعويض الحصّة الروسية. ويلفت غونغين إلى أن أوروبا تستورد 90 في المئة من حاجتها إلى الطاقة من الخارج، مضيفاً أن «أسعار الغاز ارتفعت من سنة حتى الآن سبع مرّات»، مستنتجاً بأن «الأزمة ستتعمّق أكثر مع الحرب في أوكرانيا». إلّا أنه ينبّه إلى أن «أوروبا وروسيا مترابطتان في الطاقة، بصورة غريبة، حيث النفط عصب الصادرات الروسية، إذ بلغ عام 2021 حوالى 110 مليارات دولار. وفي مجال الغاز الطبيعي، بلغت صادرات روسيا 56 مليار دولار. وتستورد أوروبا من روسيا 25 في المئة من حاجتها للنفط، و39 في المئة من الغاز الطبيعي، و 42 في المئة من الفحم. ويشكّل مجموع صادرات روسيا من الغاز والنفط حوالى 40 في المئة من واردات الخزينة الروسية».

وفي الحسابات التركية، فإنّ كلّ زيادة عشرة دولارات على سعر برميل النفط، تعني زيادة في الإنفاق ما بين خمسة إلى ستة مليارات دولارات. ومن هذا المنطلق، يرى مراد كوبيلاي، الخبير المالي، أنه «على رغم أن الاقتصاد الروسي ليس من بين الاقتصادات الكبرى في العالم، لكن مكانته على صعيد النفط والغاز مؤثّرة. لذا، فإن العقوبات على روسيا سوف تؤثّر في النمو العالمي الذي سيتباطأ». ويضيف أن «تركيا ستتأثر كثيراً، على صعيد الصادرات والزراعة والسياحة»، محذراً من أن «التأثر سيكبر في حال استمرّت الحرب فترة أطول، أو اشتدّت أكثر». ويعتبر كوبيلاي أن «البنك المركزي التركي لن يحقّق أهدافه في لجم التضخّم، بل إن الأخير سيزيد بمعدّل من خمس إلى عشر نقاط عمّا هو مخطّط له». كذلك، يلفت إلى أن «الخسائر في القطاع السياحي التركي كبيرة»، موضحاً أنه «في العام الماضي، بلغ عدد السائحين الأوكرانيين حوالى

لم تغلق تركيا مجالها الجوّي أمام روسيا إلا في الأيام الأولى من بدء القطاع السياحي (أ ف ب)

> يبلغ حجم التجارة الخارجية التركية مع كلّ من روسيا وأوكرانيا حوالى أربعين مليار دولار

المليون. وكان من المتوقّع مضاعفة العدد بعد تراجع جائحة كورونا. لكن عدم تحقّق ذلك واستمرار الأزمة، سيحرم الخزينة التركية حوالى عشرة مليارات دولار».

من جهته، يشير محمد تشاغداش ايشيم، عضو مجموعة «المحلّلين الماليين وأبحاث التضخّم»، إلى أن «كلّ دولار زيادة على أسعار برميل النفط، يعني زيادة 0,04 في نسبة التضخّم، التي بلغت رسمياً 48 في المئة، فيما هي أكثر من ذلك بكثير». ويرى ايشيم أن «العقوبات الغربية ستترك أثراً كبيراً على تجارة الحبوب»، مبيّناً أن «العالم ينتج 770 مليون طنّ من القمح، عشرون في المئة منها من روسيا. أمّا حجم تجارة القمح بالنسبة لتركيا، فهو 3,3 في المئة». وفي هذا الإطار، يقول إن «تركيا تنتج سنوياً 20 مليون طن من القمح يكفي لحاجتها الداخلية»، مضيفاً أنها «مع ذلك، تستورد 9 ملايين طن من الخارج، منها 65 في المئة من روسيا و15 في المئة من أوكرانيا، ذلك أن واردات تركيا من القمح هي لتحويلها إلى طحين وتصديرها من جديد. وهذا الأمر سوف يتأثّر حتماً بالعقوبات الغربية». أيضاً، فإن 30 في المئة من الشعير ودوار الشمس والذرة ينتَج في روسيا وأوكرانيا، اللتين تستورد منهما تركيا سبعين في المئة من احتياجاتها من هذه المواد، علماً أن سعر طن زيت دوار الشمس ارتفع من 1400 إلى 1500 دولار، فيما قد يصل إلى 1800 دولار. وفضلاً عن ما تَقدّم، يعتقد ايشيم أن «أزمة كبرى ستنشأ أمام تركيا من تراجع مبيعات الطماطم والرمان والبرتقال والحامض إلى روسيا وأوكرانيا».

كما أن القطاع السياحة سيُعاني كثيراً، إذ وفقاً لمؤسّسة الإحصاء التركية، فإن عائدات تركيا العام الماضي من السياحة بلغت 25 مليار دولار، فيما وصل عدد السائحين إلى حوالى 30 مليون سائح، منهم 5 ملايين من روسيا، بنسبة 20 في المئة، ومليونان من أوكرانيا، بنسبة 8 في المئة. ومن هذا المنطلق، لم تغلق تركيا مجالها الجوّي أمام روسيا، أملاً في ألّا يتأثّر القطاع السياحي. ويتوقّع «اتحاد وكالات السياحة» في تركيا أن يبلغ عدد السائحين، عام 2022، حوالى 45 مليون سائح، وبدخل 35 مليار دولار. لكن الحجوزات، حتى الآن، بالنسبة للروس والأوكرانيين، تراجعت بنسبة 70 في المئة، وهو ما يعني أن هذا القطاع قد يتكبّد خسارة تصل إلى 6 مليارات دولارات. وبالنسبة للدين الخارجي، فيبلغ 453 مليار دولار، منها 124 ملياراً ديناً على المدى القصير. ومع تراجع سعر صرف الليرة أمام الدولار، بسبب انعكاسات الأزمة في أوكرانيا، فإن حجم الدين الخارجي سوف يزداد حتماً.

ومن بين الآثار المباشرة والسريعة أيضاً على الوضع المعيشي في تركيا، الزيادات اليومية على أسعار البنزين والغاز والكهرباء، والتي أثارت استياء كبيراً، دفع «حزب العدالة والتنمية» إلى التنصّل من دوره فيها عبر ردّها إلى الأزمة العالمية، كما قال النائب ماهر أونال. وردّ المتحدث باسم «حزب الشعب الجمهوري» المعارض، فائق أوزتراك، على أونال، قائلاً: «مَن الذي رفع في ليلة واحدة أسعار الكهرباء بنسبة 127 في المئة؟ هل هي ملكة بريطانيا أم أنتم؟ هل هو الرئيس جون كينيدي أم أنتم؟ هل هو بيليه الملك غير المتوّج أم أنتم؟ هل هي بريجيت باردو أم أنتم؟». وعلى الرغم من تخفيض ضريبة القيمة المضافة على المواد الغذائية والخضار والفاكهة، من 8 إلى واحد في المئة، إلّا أن الأسعار لم تتراجع، بذريعة أن مكوّنات السعر، مثل الأسمدة والمازوت، تتضمّن ما يُعرف ارتفاعاً، وليس انخفاضاً في الأسعار.

وفيات

ذكرى

ذكرى أسبوع
يُقام غداً الأحد الواقع فيه 6 آذار 2022 ذكرى أسبوع في بلدة الغسانية الساعة العاشرة صباحاً عن روح فقيدتنا الغالية المرحومة
الحاجّة انصاف مصطفى كركي
أمّ علي فواز

زوجة المهندس حسن علي فواز
ابنها: علي زوجته ميسون فواز
إخوتها: محمد، علي، أحمد وحسين كركي
أخواتها: فاطمة، زينب، هناء وعفاف كركي
حفيداها: حسن وأيلا
بناتها: الدكتورة ساره، لمياس زوجها بشير بشير أحفادها علي كرار، أمير علي، ذو الفقار علي، - مريم زوجها المهندس غسان غزيل، الدكتورة زينة زوجها المهندس يوسف فضل الله وأماني
للفقيدة الرحمة ولكم طول البقاء
الآسفون: آل فواز، آل كركي، آل بشير، آل غزيل وآل فضل الله

مطلوب

مطلوب لمعمل خياطة صناعيّة في نيو روضة - عمال درزة باترونيست - موديلست معلم كوي - معلم تسحيب Moulage- مسؤول معمل - المعاش مُغرٍ.
للاتصال:
01/689503 - 01/690521

مبوب

إعلانات رسمية

إعلان
تعلن كهرباء لبنان عن رغبتها في إجراء استدراج عروض لشراء بطاريات لزوم مجموعات الـ BBC في معمل الجية الحراري.
يمكن للراغبين في الاشتراك باستدراج العروض المذكور أعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان - أمانة السر - في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه، مبنى كهرباء لبنان – طريق النهر وذلك لقاء مبلغ قدره /000 200/ل.ل.
تسلم العروض باليد إلى أمانة سر كهرباء لبنان - في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه، مبنى كهرباء لبنان – طريق النهر وذلك لقاء مبلغ قدره /000 300/ل.ل.
علماً بأن العروض التي سبق وتقدم بها بعض الموردين لا تزال سارية المفعول ومن الممكن في مطلق الأحوال تقديم عروض جديدة أفضل للمؤسسة.
تسلم العروض باليد إلى أمانة سر كهرباء لبنان - في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه.
بيروت في 2022/2/28
بتفويض من المدير العام
مدير الشؤون المشتركة بالإنابة
المهندس واصف حنيني
التكليف 93

.....

إعلان
تعلن كهرباء لبنان عن مهلة تقديم العروض لتقديم وتركيب خمسة عشر مستوعب (Shelters) مجهز بخلايا على توتر متوسط 24 ك.ف. لزوم محطات التحويل الرئيسية، موضوع استدراج العروض رقم ث4ه/10587 تاريخ 2019/10/2، قد مددت لغاية يوم الجمعة 2022/4/1 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11:00 قبل الظهر.
يمكن للراغبين في الاشتراك باستدراج العروض المذكور أعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان - أمانة السر - في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه، مبنى كهرباء لبنان – طريق النهر وذلك لقاء مبلغ قدره /000 200/ل.ل.
تسلم العروض باليد إلى أمانة سر كهرباء لبنان - في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه، مبنى كهرباء لبنان – طريق النهر.
علماً إن آخر موعد لتقديم العروض هو نهار الجمعة الواقع في 2022/4/1 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11,00 قبل الظهر.
بيروت في 2022/2/28
بتفويض من المدير العام
مدير الشؤون المشتركة بالإنابة
المهندس واصف حنيني
التكليف 93

.....

إعلان
من أمانة السجل العقاري في عاليه
طلب بسام هاني العريضي وكيل غازي هاني العريضي سندات تمليك بدل ضائع للعقارات 2360، 2813، 2518، 4678 بيصور.
للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في عاليه
ليليان داغر

.....

إعلان
صادر عن أمانة السجل التجاري في النبطية
بموجب الطلب المؤرخ في 2022/2/22 والمقدم من عبدالله نعمة بوكالة المحامية رلى الحجاوي والمسجل تاجراً لدى أمانتنا بالرقم 6005221/عام تاريخ 2021/5/27 تحت اسم My Home Travel والذي يطلب بموجبه تعديل اسمه التجاري ليصبح: MELLO YELLO HOME TRAVEL وبتاريخ 2022/2/28 تقرر النشر.
الرقم المالي: 3740311
مهلة الاعتراض عشرة أيام تلي آخر نشر
أمين السجل التجاري في النبطية
فاطمة فحص

استراحة

كلمات متقاطعة 3974

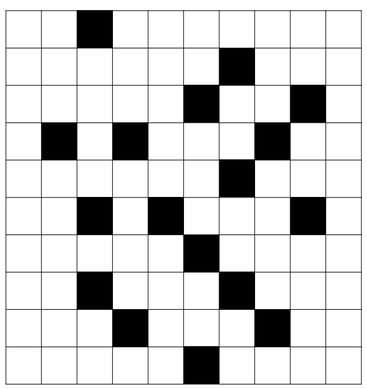

افقيا
1- دولة عربية – قلّ ماء النهر – 2- إعتراف بالحبّ – تُعرف بجزر مالوين – 3- ثرى – كتاب لجبران خليل جبران – 4- للتعريف – مدينة سورية – 5- مضغ – الموت – 6- أزمنة قليلة – للنفي – 7- من يتولى إدارة مشروع – المؤسسة العامة لتشجيع الإستثمارات في لبنان – 8- غذاء – وجع – إشتاق اليه – 9- إسم موصول – من مستلزمات البناء – فترات من الزمن – 10- جزيرة في البحر الأبيض المتوسط – إحدى الولايات المتحدة الاميركية

عمودياً
1- شاعر هجاء عربي قديم – 2- للتمنّي – نوتة موسيقية – حيوانات تستخدم في نقل البضائع – 3- يم – من أسماء الخمر – 4- صفرة البيض – من الحيوانات – برق وتلألأ – 5- سرب من الطيور – نقود ودراهم – سعل – 6- يتابع العمل – حجّة بملكية عقار – 7- عذب وأصاب بأذى – من العملات – 8- عاصمة أوروبية – حكّ وأزال – 9- ما ينبُت على الشفة العليا من شعر بلغة العامة – يتبعك حتى يدركك – 10- من مؤلفات جبران خليل جبران بالإنكليزية

حلول الشبكة السابقة

افقيا
1- حمام زاجل – 2- اولان باتور – 3- فزع – أنّب – رس – 4- ادرج – شاي – 5- أهدم – زقاق – 6- لاي – امون – 7- انانى – موال – 8- تسلمّ – نوم – 9- دل – يافع – فا – 10- المفرقعات

عمودياً
1- حافظ الأسد – 2- موز – هان – لا – 3- العاديات – 4- ما – ذمّ – نسيم – 5- زنّار – ايلاف – 6- ابن حزم – مفر – 7- جاب – قوم – عقّ – 8- لثّ – شانون – 9- وزّاق – اوفا – 10- مرسي – كلمات

sudoku 3974

8		1	7		4	2		
	5			1				8
	3	6				5		
9			2			7		
	1			3	7			
	2			8		5		9
5			4			6		7
					2		8	
6		9	1			3		5

شروط اللعبة
هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكلّ مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 3973

9	7	2	3	4	1	6	5	8
1	8	4	6	5	7	3	2	9
3	5	6	8	9	2	4	1	7
5	1	8	4	3	6	9	7	2
6	2	3	7	1	9	5	8	4
4	9	7	5	2	8	1	6	3
8	3	5	1	7	4	2	9	6
7	4	9	2	6	5	8	3	1
2	6	1	9	8	3	7	4	5

مشاهير 3974

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

مطربة وممثلة مصرية مواليد عام 1938. من أشهر رموز الموسيقى العربية في العصر الذهبي في خمسينات وستينات القرن الماضي. اعتزلت الغناء عام 2002
5+6+2+3+10+4+9 = خادمة السلطان ■ 8+7+1 = في الشجرة ■ 11+1+2 = فردوس
حل الشبكة الماضية: **رومانو برودي**

إعداد
نعوم مسعود

البلاد

ملف

شكّل استشهاد باسل الأعرج صدمة في القطاع الثقافي الفلسطيني. القطاع الذي يعمل في مجال الفكر والكلمة. فمنذ زمن طويل انتهت في هذا القطاع، أو خفّت إلى حد بعيد، ظاهرة تورّط المثقفين بحدّة في الصراع. صراع الموت والحياة الذي تعيشه فلسطين. إذ وجدت غالبية هذا القطاع لنفسها ركنًا قصيًا تراقب فيه الصراع من بعيد. ولا تشارك فيه عمليًا إلا عبر أضعف الإيمان. بعد أن انتهينا إلى سلطة تعمل خادمة لأمن إسرائيل. ثم فجأة طلع لهم باسل الأعرج، كمثقّف شاب، لكي يعيدهم باستشهاده، وجزئيًا بكلماته، إلى نقطة الصفر. أي إلى النقطة التي كان غسان كنفاني قد وضع الحياة الثقافية الفلسطينية (والعربية) فيها في الستينيات من القرن الماضي. نقطة التورّط القصوى والاستشهاد. ونقطة الأسئلة الكبرى والأجوبة الكبرى

قدّيس بالرشاش

زكريا محمد

أستطيع القول إنّ استشهاد باسل الأعرج وهو يمسك برشاشه كان محاولة لإعادة التوازن إلى القطاع الثقافي الفلسطيني. فقد مرّ هذا القطاع بعد استشهاد كنفاني بمرحلة صارت الكتابة فيها مرتبطة بالشهادة. فالكاتب الأكثر أصالة هو الشهيد، أو الأشدّ قرباً من الشهادة. وقد انعكس هذا في شعار الاتحاد العام للكتّاب الفلسطينيّين يومها: «بالدم نكتب لفلسطين». الدم هو الكتابة الأسمى، والاستشهاد هو النشيد.

وقد عانت الكتابة والثقافة إلى حدّ لا بأس به من هذا. إذ صار جوهر الكتابة يقع في الواقع خارج الكتابة. لكن مع الزّمن، وخاصة بعد اتفاق أوسلو، تحلّلت الكتابة والثقافة تدريجياً من شروط تلك المرحلة، وحلّ تطرّف معاكس محل تطرّفها: الثقافة والكتابة هي بشكل ما تحلّل من الصراع وتحكّماته. شرط وجودها الفعلي هو التنفّس بعيداً عن الصراع إلى حد ما. وقد وضع مقتل باسل الأعرج ممسكاً

> لقد أجاب بالفعل، بيديه الاثنتين، بالطلقة في بيت النار. كان يريدنا أن نرى باعيننا إجابته على أرض الواقع، لا أن نقرأها مكتوبة

بالرشاش نهاية لهذه المرحلة. فلسنا هنا أمام مثقّف متورط في الصراع حتى نهايته القصوى، بل أمام مثقّف يمسك بسلاحه ويقاتل حتى آخر طلقة، وأمام مثقّف قاتل كندٍّ كامل، كما قالت عشرات التعليقات التي نُشرت على صفحات «فايسبوك» تعليقاً على استشهاده.

كنفاني وقد اكتمل

لقد رأى الناس باسل الأعرج من خلال جملة غسان كنفاني: «لا تمت إلا ندّاً». لقد كان استشهاده تطبيقاً لهذه الجملة. لكن يبدو أكثر من ذلك، إذ يمكن القول إنّ حياة باسل الأعرج كانت محاولة لطرح أسئلة غسان كنفاني على الأرض. أو قل محاولة لتطبيقها. بل ربما كانت هذه الحياة سعياً لتجاوز كنفاني شخصياً، ليس في حقل الكتابة، بل في حقل الفعل. فكنفاني لم يمت في اشتباك مسلّح. كان كفاحه يقود إلى الاستشهاد، لكنه لم يستشهد في معركة مباشرة وجهاً لوجه. عمل على أن يكون ندّاً، وقد كان ندّاً، لكنه لم يمت في معركة مواجهة مباشرة. أمّا الأعرج فقد كان يريد أن يصل إلى المواجهة المباشرة. فأن تكون ندّاً يقتضي أن تقف في مقابل عدوك سكيناً مقابل سكين، ورشاشاً مقابل رشاش. بدّا يمكن القول إن الأعرج هو كنفاني وقد وصل إلى غايته. كنفاني وقد اكتمل.

سكيناً في مقابل سكين

بناءً عليه فإنه، وبشكل ما، لا يمكن فهم الأعرج من دون كنفاني. بل لعلّ الأعرج كان ثمرة من ثمرات روايات غسان كنفاني. إنه اختصار بالفعل، بالممارسة، لرواياته. فقد كانت حياته إجابة على السؤال الأخير في رواية «رجال في الشمس» (لماذا لم تدقّوا جدران الخزان؟). لقد دق جدران الخزان بيديه الاثنتين، وبلا توقف. كما أنه وقف مثل زكريا في رواية «ما تبقى لكم» سكيناً في مقابل سكين، وندّاً في مقابل ندّ. كما أنه رسخ فكرة أنّ الإنسان قضية كما في رواية «عائد إلى حيفا».

وروايات غسان كنفاني أصلاً سلسلة متتابعة من الأسئلة، ومحاولات لدفع الناس للإجابة عليها بشكل محدد. وقد قدّم الأعرج إجاباته على كل هذه الأسئلة. لذا فقد كانت الجملة المركزية في وصية استشهاده هي: «وجدت أجوبتي». نعم، هكذا.

وهو لم يخبرنا شيئاً عن هذه الإجابات إلا عبر الفعل. لقد أجاب بالفعل، بيديه الاثنتين، بالطلقة في بيت النار. كان يريدنا أن نرى باعيننا إجابته على أرض الواقع، لا أن نقرأها مكتوبة. بذا فجوهر ما وصل إليه هو أنّ الإجابة تتم عبر الفعل. وهذه هي النقطة المركزية في حياته كمثقّف. المثقف يجيب بالفكر، بالكلمات، لكنه أجاب بالفعل على أرض الواقع.

وانطلاقاً من هذا يمكن فهم وصيته الغريبة: «أنا الآن أسير إلى حتفي راضياً مقتنعاً. وجدت أجوبتي. يا ويلي ما أحمقني وهل هناك أبلغ وأفصح من فعل الشهيد، وكان من المفروض أن أكتب هذا قبل شهور طويلة إلا أن ما أقعدني عن هذا هو أن هذا سؤالكم أنتم الأحياء فلماذا أجيب أنا عنكم؟ فلتبحثوا أنتم أمّا نحن أهل القبور فلا نبحث إلا عن رحمة الله».

لقد وجد الأعرج أجوبته. هذه هي النقطة المركزية في الوصية. والأجوبة هي الفعل، وهي الاستشهاد. لكن النقطة الغامضة في الوصية هي الجملة التي يقول فيها: «هذا سؤالكم أنتم الأحياء فلماذا أجيب أنا عنكم؟». وكما نرى فنحن أمام سؤال مرير جداً. وهو قد يوحي بأنّ الإجابة فردية، وأنها تتعلق بالإيمان الديني، أي بلقاء الله. لكن هذا الاستخلاص يخالف كل ما كتبه باسل الأعرج. فلم تكن مسيرة الشاب مسيرة دينية تسعى إلى الخلاص الشخصي، بل كان الخلاص العام جوهر هذه المسيرة.

الشهادة كنص مكتوب

بذا يجب محاسبة هذا القسم من الوصية، أو الوصية كلها، انطلاقاً من أنّ باسل حين كتب وصيّته كان يعرف أنه سيستشهد، وأنه لم يعد لديه وقت لكي يقدم إجابات مكتوبة. ونص الوصية يُشير بقوة إلى أنه كان مشغولاً بوضع تلك الإجابات كتابة: «كان من المفروض أن أكتب هذا قبل شهور طويلة إلّا أن ما أقعدني عن هذا هو أن هذا سؤالكم أنتم الأحياء فلماذا أجيب أنا عنكم؟ فلتبحثوا أنتم أمّا نحن أهل القبور فلا نبحث إلّا عن رحمة الله». وهكذا، فقد كان مفروضاً أن يكتب، لكن استشهاده صار قريباً جدّ أنه لم يكن هناك من مجال لتفصيل الإجابات. فالشهادة نص غير مكتوب. أو نص مكتوب بالدم.

كان كنفاني «طارح أسئلة». أمّا باسل الأعرج، فكان «طارح إجابات». وكانت إجاباته فعلاً على الأرض. إجاباته تمثلت بما كان يفعله لا بما يقوله مبدئياً. وقد صار الأمر هكذا لأنه لم يكن لديه وقت كي يصوغ إجاباته بما يكفي من الوضوح والقوة. كانت حياته تمضي إلى الشهادة بشكل متسارع قبل أن تنضج أدواته الفكرية لتقديم الإجابات. كان يجب بيديه وجسده وروحه. أو قل كان هناك سباق في داخله بين الشهادة والكتابة، بين الفعل والقول. وكانت الشهادة هي الأسرع. لذا لم تكن أجوبته المكتوبة ناضجة. كان بحاجة إلى عشرات السنوات كي تنضج كتابته. لكن لم يكن هناك من يعطيه هذه السنوات. أو قل لم تكن روحه تعطيه هذا الوقت. فهي كانت روحاً تسعى إلى الفعل.

ما كتبه باسل كان مجرّد عناوين. أمّا ما تحت العنوان فكان شرحاً بدمه ذاته. وهذا الخليط هو الذي حوّل باسل الأعرج أيقونة عند الأجيال الشابة، ذكوراً وإناثاً. وليس هناك من شخصية تعادله في تأثيره على هذه الأجيال. لقد تحوّل إلى قديس. ومثل القديسين الكبار كان دمه أبلغ من فمه.

من أجل هذا، سيكون استشهاد باسل الأعرج حدثاً مركزياً في الحياة الثقافية الفلسطينية. فقد أعادها إلى نقطة الصفر، النقطة التي تطرح فيها الأسئلة الكبرى بلا مواربة ولا مجاملة.

تصميم: محمد معلم

لماذا لم نذهب (بعد) إلى الحرب؟

نضال خلف

هذا المقال محاولة لإبقاء بعض الدّين الذي نحمله في رقابنا إلى الشهداء. نحاول من خلاله الخروج من الأيقنة الصورية للشهيد باسل الأعرج نحو نقاش جوهريّ لأفكاره وطروحاته. سنُذكّرُ بباسل في المقال بصيغة الحاضر لكونه دائم الحضور في الذاكرة والوعي.

"لماذا نذهب إلى الحرب؟" هو عنوان إحدى الرسائل التي خطّها الشهيد باسل الأعرج والتي تحوّلت لاحقاً إلى مزج صوتي بعد استشهاده. الرسالة المُثقلة بالأفكار تنطلق من البُعد الفلسفي للسؤال المطروح، عبر نقد المفاهيم الجامدة للحقيقة والشكّ. ثمّ يتعمّق التناول ليركّز على مفهوم "الرومنسية" في تعريف الدوافع الفردية والجماعية لخوض الحرب عند أي مجموعة بشرية. يعتبر باسل أنّ الذهاب إلى الحرب هو وسيلة الإنسان لإشباع رومنسيّة البطولة بداخله، وهو في الوقت عينه أداة تحطيم لهذه الرومنسية. وفي تعريفه لرومنسية البطولة، يعرّج باسل على اختلاط الدوافع الفردية والجماعية في رحلة الفرد نحو الحرب. وفي هذا السياق، يذكر مجموعة جاسر البرغوثي الفدائية وحكاية الصفعة التي يُحكى أنّها كانت دافعاً خلف تشكيل المجموعة. بوضوح، يرمي الأعرج إلى توضيح حاجة الجمهور والأفراد إلى الرومنسية لترسيخ دوافعها نحو المواجهة. ويتطوّر "مونولوج" باسل ليشمل دور الحداثة في إعادة رسم الرومنسية وفصلها بين الذاتي والمجتمعي في الوعي الفردي، ليخلُص إلى نتيجة مفادها أن الرومنسية الثورية جزءٌ أساسي من رحلة الثائر، وهي الحجر الأول الذي لا بدّ للثائر أن يحمله قبل أن يحطّم بنفسه مع اصطدام الفكرة بالتجربة. أو كما يختصرها باسل نفسه بالعبارة الشهيرة:

"العزّ في رؤوس الجبال... والجبال في صدور الرجال"

إلى جانب متعة القراءة والفائدة الثقافية التي يكسبها القارئ، فإنّ أكثر ما يلفت في الرسالة هو أنّها اختصارٌ لسيرة باسل نفسه. الرحلة التي يصفها باسل من الرومنسية الثورية المجرّدة إلى الفعل الثوري المدفوع بفكرة رومنسية هي الرحلة ذاتها التي خاضها باسل والكثير من شهداء فلسطين.

الرحلة نحو "عقلنة الرومنسية" قوامها مراحل ثلاث: السماء ثمّ الأرض وصولاً إلى الإنسان. في مرحلة "السماء"، لا بدّ من إطلاق المخيّلة (ومعها الإرادة) بلا حدود نحو طموحات مجرّدة قد تبدو في بعض الأوقات مجنونة: "تحرير فلسطين"، "الوحدة العربية"، "الحرية"... أهدافٌ أوّلية تتشكّل بعد استيعاب الإحساس الأوّلي بالظلم، وتترسّخ في الوعي لتصبح هي بذاتها الضوء البعيد الذي يحثّ على انطلاق المسير.

نزولاً إلى "الأرض"، تبدأ الفكرة

> البحث عن «عقلنة الرومنسية» لا يكون خلف الشاشات بل هناك في الخنادق وضمن عالم تسير فيه عقارب الزمن على وقع سؤال: «ماذا فعلتُ اليوم للبلاد؟»

الرومنسية مرحلة احتكاكها بالواقع. فالجبال جميلةٌ عن بُعد، وتترسّخ في الوعي لتصبح هي بذاتها الضوء البعيد الذي يحثّ على انطلاق المسير.

نزولاً إلى "الأرض"، تبدأ الفكرة

> البحث عن «عقلنة الرومنسية» لا يكون خلف الشاشات بل هناك في الخنادق وضمن عالم تسير فيه عقارب الزمن على وقع سؤال: «ماذا فعلتُ اليوم للبلاد؟»

أم نغيّرها؟ في هذه الرحلة، يسقط كثيرون في أحد فخّين: الأوّل هو فخّ الهزيمة المُودي إلى العدمية. أمّا الثاني، فهو فخّ الهروب إلى المربّع الأوّل: الرومنسية المجرّدة. في الحالتين، تنتهي الرحلة ويصبح الفناء مسألة وقت لا أكثر. والخطير في ذلك أنّ الفناء هنا لا يقتصر على الأفراد، بل قد يطاول أمّة بأسرها.

أمّا من ينجح في التغلّب على وحل الأرض مصيره الارتقاء إلى مرحلة "الإنسان". والإنسان هنا هو تجسيد الكيان الثابت على الأرض في سعيه إلى السماء. في هذه المرحلة، يكون الساعي قد طوّر الأدوات المادية والفكرية اللازمة ليس فقط لتحقيق الهدف الأوّلي، بل لترسيخ استمراريته وثباته عبر الزمن. في هذه المرحلة، لن نقلق على مصيرنا بعد "التحرير"، ولن نتردّد في التضحية لتحقيق الهدف الأوّلي، لأنّ الفشل الوحيد في هذه المرحلة هو عدم التضحية. ونتاج التضحية هنا هو الخلود، سواء بالشهادة أو بالحرّية.

هذه الرحلة التي وصفها باسل الأعرج قبل أن يخوضها لا تقتصر على الأفراد، بل هي رحلة شعوب وأمم تسعى لتحقيق حرّيتها واستعادة مكانتها في العالم. وهي في مضمونها الأمني والمعنوي ترغيباً وترهيباً في الضفة الغربية؛ لعب على التناقضات وهندسة المجتمع ونقاط ضعفه وترويضه، وكل ذلك عبر استخدام أكثر الوسائل التكنولوجية تقدّماً. ليصل الأمر بالصهاينة إلى تسليع هذه المعارف الاستعمارية لكن يتصرّف: لماذا لم نذهب (بعد) إلى الحرب؟

إنّ البحث عن رحلة "عقلنة الرومنسية" لا يكون خلف الشاشات، بل هناك في الخنادق والأنفاق والساحات، في ثبات المبادئ وضمن عالم تسير فيه عقارب الزمن على وقع سؤال: "ماذا فعلتُ اليوم للبلاد؟" هناك، تتحطّم الرومنسية المجرّدة لتولد مكانها واقعية حالمة لخّصها إرنستو جيفارا بعبارته الشهيرة: "فلنكن واقعيين ونطالب بالمستحيل".

ختاماً، في أحد مشاهد مسلسل "التغريبة الفلسطينية" المقتبسة من رواية "رجال في الشمس" للشهيد غسان كنفاني، يخوض ثلاثة رجال رحلة عبور الصحراء بين الكويت والعراق. من دون دليل، يسيرون تائهين خلف "ضوء" بعيد، فيسقط أحدهم مستسلماً للموت وهو يردّد "الضوء كذّاب". وفي اليوم التالي، يستفيق الناجيان على بُعد أمتار من خيمة كانت هي مصدر الضوء ليلاً. هو مشهدٌ قد يساعدنا على فهم مراحل الرحلة من الرومنسية المجرّدة إلى الواقعية الحالمة.

في عالم تتسارع فيه وتيرة التغيير، بات لزاماً علينا أن نتسلّح بكلّ ما تركه لنا الصادقون من تجارب وأفكار، وأن نسأل أنفسنا اليوم في ذكرى باسل الأعرج: لماذا لم نذهب بعد إلى الحرب؟

الضفة والاستعمار والشهادة

موسى السادة

إن أبرز الأدوات الاستعمارية الصهيونية والغربية الراهنة تجاه فلسطين هي المجهود المنهج لنقض وإنهاء مقاربتها كقضية استعمارية. وذلك عبر محاولة نزع خصوصيتها وإلحاق فهمنا لها كنوع من أنواع انتهاكات حقوق الإنسان، كمثيلاتها في كل مكان، وترفع شعارات أن الدم في بقعة جغرافية ما ليس أغلى من الدم الفلسطيني، فهنالك قضايا ماسوية في كل الكوكب. وعربياً فلكل شعب قضيّته، وتستخدم من دون براءة ألفاظ القضية السورية والقضية العراقية، وما فلسطين سوى قضية من جملة قضايا - وحدهم اليمنيّون يرون ما يعيشونه ملحقاً لمركز الصراع في فلسطين وليس العكس.

والاستدراك هنا أنه حتى محاولة الإلحاق هذه مستحيلة، فمهما تم تحوير المصطلحات تبقى فلسطين بالمعنى التاريخي وعلى أرض الواقع قضية استعمار للأرض والإنسان، ولا مكان لها في عالم تسود فيه قيم حقوق الإنسان الغربيّة، حيث تبقى إسرائيل في فسطاط العالم الحر والليبرالي بشكل جوهري وثابت. بيد أن المسألة أنه منذ أوسلو، وفي أحد أكثر مشاريع الإبادة البطيئة تعقيداً، تمّت عملية صناعة وهم عبر شبكة امتيازات مادية وبنى المنح الخارجية أنه أنك وكفلسطيني لو استخدمت أدوات حقوق الإنسان وأثبتت للعالم الغربي أنك متحضّر بما فيه الكفاية وتشاركه القيم فستصل إلى مكان ما وتنتزع حقوقك وتستنفر المجتمعات الغربيّة معك. الأمر أكثر سوءاً من ذلك، فحتى إن فهم أغلب هؤلاء الناشطين أنهم كشعب فلسطيني لن يصلوا إلى مكان تتحوّل فيه المسألة إلى عملية التمسّك بالامتياز الفردي الذي سيحصلون عليه من خلال هذه البنى وعبر تبني هذا الخطاب.

التصفية الاستعمارية منذ أواخر الثمانينيات هي في تحويل الثورة الفلسطينية وحشود المقاتلين إلى مجاميع من ناشطي حقوق الإنسان، في عالم لا يعترف بإنسانيّتهم بالمقام الأوّل. فالعمليّة مجرّد استهلاك للطاقات وإدخال الشعب في دوامة من السراب حتى يكمل الصهاينة سطوتهم الفعليّة على الأرض. هذه الخلفيّة مهمّة لإعادة التأكيد أن كل مقاربة لفلسطين يجب أن تنطلق من أساس أنها قضية استعمارية، فهذا هو سياقها التاريخي، وهذا ما يعطيها كلاً من خصوصيّتها ومركزيّتها.

فعلى عكس الخطاب السائد حالياً، لا تكتسب القضايا قيمتها عبر معايير ما يطلق عليه حقوق الإنسان، أي حزمة القيم الكونية والمفترض سموّها وتعاليها، والتي لها حرميّة أشبه بتلك التي سبقتها والقائمة على الأديان. فكما يلاحظ جورج قرم تصوّر الصراعات البشرية اليوم كصراع للحفاظ على قيم منزّهة وثابتة. فتلبس الصراعات الدولية والسياسات الاستعمارية لبوس الدفاع عن قيم الديموقراطية والحرّية وحقوق الإنسان، ولذلك نرى تسمية الحملات العسكرية الغربية "تدخلاً إنسانياً" أو "نشر الديموقراطية والحرّية". حيث تحوّل الهيمنة الإعلامية للدول الغربية الصراع إلى فسطاطين، خير وشر، من هم مع الحرّية وحقوق الإنسان والديموقراطية ضد المستبدين والمتمرّدين على الحضارة وأعداء هذه القيم. وبهذه الطريقة تحديداً يتم إخفاء النوايا ــ المصالح المادية والسياسية وأهدافها الاستعمارية.

> مفاعيل شهادة باسل انتجت تحفيزاً وانخراطاً ووعياً وإعادة بث لروح النضال التي يحاول الصهاينة اغتيالها بشكل بنيوي

ان تفهم الضفة

إن أسوأ تبعات عملية الإلحاق هذه هي اغتراب المواطن العربي عن فهم حقيقة ما يعيشه الفلسطيني. في ظل سطوة تصوّر أن جلّ ما في المسألة هو القمع والانتهاكات، فيصبح الفلسطيني تحت الاحتلال والمواطن العربي تحت حكم السلطة العربية المستبدة كلاهما يعيشان التجربة ذاتها. من هذا المنطلق، نحن بحاجة دائمة الى إعادة شرح المنظور الاستعماري لفلسطين وتحديداً الضفة الغربية والقدس.

تكمن المسألة في فهم أن ما تعيشه الضفة ليس فقط تجسيداً لواقع استعماري، بل إن الواقع الذي يعيشه الفلسطيني في الضفة الغربية هو بالمعنى التاريخي المُطلق أعقد وأضخم عمليات الهندسة الاستعمارية، فهو واقع قائم على نتاج خبرات استعمارية عمرها يزيد على خمسة قرون. في الحديث عن المشروع الصهيوني نحن نتحدث عن مجموعة بشرية قامت بدراسة ومراكمة التجارب الاستعمارية منذ وصول الإسبان إلى سواحل أميركا اللاتينية وإبادة شعوب الأزيك والأنداك، مروراً بتجارب البريطانيين والفرنسيين في كل من الهند وأفريقيا، وبطبيعة الحال الإبادات الأميركية للقبائل الهندية، ومن ثم لتأتي وتطبق خلاصاتها على شعبنا الفلسطيني، سواء بالمضمون العسكري على غزة أو في مضمونها الأمني والمعنوي ترغيباً وترهيباً في الضفة الغربية؛ لعب على التناقضات وهندسة المجتمع ونقاط ضعفه وترويضه، وكل ذلك عبر استخدام أكثر الوسائل التكنولوجية تقدّماً. ليصل الأمر بالصهاينة إلى تسليع هذه المعارف الاستعمارية ومحاولة بيعها كتجارب لمختلف دكتاتوريات العالم.

أن تفهم الضفة من هذا المنطلق، أي ليس كمجتمع تحت سلطة قمع وانتهاكات، بل تحت سلطة استعمارية، حيث تمسي جميع أبعاد الحياة هي ضمن عملية ترويض المجتمع. من هندسة التشكيل الطبقي للمجتمع بشكل يعمل على وهنه وضعفه الذاتي إلى استغلال البنى التقليدية والعشائرية إلى أنظمة الترغيب بالامتيازات والترهيب بالأسر والقتل وهدم البيوت. ونحن اليوم نتكلّم عن أجيال ولدت ضمن هذه البنية التي أقامها الصهاينة لإنتاج وترويض جيل منذ ولادته. إنه بمجرد أن نعي هذه الصورة نُكتشف أنه في ظل كل هذا تكتسب عملية النضال في ظل هذه البنية معاني وقيماً أخرى، فحسابات الردع وتبعات الفعل المقاوم وجدواها هنا مختلفة عن سابقاتها من مراحل النضال الفلسطيني، فهي حتماً أصعب. وعليه، فإن الدور التاريخي والاجتماعي الذي تلعبه قيمة الشهادة يكتسب مفاعيل أهم.

وهذا تحديداً ما يميّز باسل الأعرج، أغلبنا لم يعرف باسل قبل شهادته، فهو من الشخصيات التي تولد يوم شهادتها. فلقيمة شهادة باسل دور مختلف، فمفاعيلها أنتجت تحفيزاً وانخراطاً ووعياً وإعادة بث لروح النضال التي يحاول الصهاينة اغتيالها بشكل بنيوي، وما تجديد ذكراه اليوم سوى دليل على ذلك، دليل على أن جدوى مقاومته مستمرة وستستمر.

البلاد

المقابلة

خضر عدنان

القيادي في «حركة الجهاد الإسلامي»

- **السلطة تريد إسكات كلّ الشخصيات الاعتبارية**
- **لا نقبل وجود عميل بيننا ولكن هل تعاقب السلطة العملاء المسجونين لديها؟**
- **الشارع الفلسطيني يستعيد عافيته ويعي خياره أكثر من ذي قبل**

أجراها **يوسف فارس**

عند الحديث عن معارك الإضراب الفردي عن الطعام، لا يمكن تجاوز الرمزية التي يتمتّع بها الشيخ خضر عدنان، ابن بلدة عرابة - قضاء جنين - والذي كان اول من سنّ هذا النهج، كوسيلة من وسائل الضغط على مصلحة إدارة السجون الإسرائيلية لتحقيق مطالب الأسرى.
نجح الشيخ الشاب - المولود في 24 آذار 1978 - عبر الإضرابات، في مقارعة الاحتلال مرّات عدّة، لكن الذي لم يكن يعرفه كثيرون، أنّ التجربة الاولى له في هذا المضمار كانت عام 2000، يوم زُجّ به السلطة في سجن اريحا على خلفية تصدّره احتجاجات طلبة جامعة بيرزيت، على تصريحات رئيس الوزراء الفرنسي آنذاك ليونيل جوسبان، الذي كان في زيارة للمقاطعة في رام الله، حيث وصف حينها «حزب الله» بـ«الإرهابي». نهاية عام 2011، سُجّلت اولى معاركه الناجحة مع مصلحة إدارة السجون الإسرائيلية، والتي تُوّجت بالإفراج عنه. كما هو الحال في اثنتي عشرة مرّة اعتقال خضع لها عدنان، وانتهت اخيراً بخروجه من المعتقل، مع تعهّد العدو بعدم اعتقاله إدارياً.
واليوم، اضحى خريج الرياضيات الاقتصادية، الذي يعمل خبازاً مضطرّاً للسير على حدّي السكّين، ما بين جيش الاحتلال من جهة، واجهزة امن السلطة وميناصريها من جهة اخرى، بعدما بدت الاخيرة وكأنها تقود حملة منظّمة لتشويه رمزيّته الوطنية وحضوره الاعتباري.
وصولاً إلى محاولة اغتيال فاشلة تعرّض لها نهاية الشهر الجاري، لدى مشاركته في حفل تأبين شهداء نابلس الثلاثة (ادهم مبروك ومحمد الدخيل واشرف مبسلط)، في مايلي حوار اجرته «الأخبار» مع القيادي في «حركة الجهاد الإسلامي»:

■ يصنّفك البعض على أنك مزعج، من هي الشخصية المريحة بالنسبة للسلطة؟
الشخص المريح للسلطة هو الشخص الميّت أو الصامت، لأنهم يريدونا كاسرى محرَّرين، أيقونات صامتة. يريدون أن يتكلّموا هم نيابة عنا، أما عندما يتكلّم الأسير المحرَّر، عندها يخرج عن الملّة والدين والأخلاق بفهمهم. هم يريدون أن يتكلموا عنا كما كانوا يتكلمون عن عميد الأسرى، أحمد جبارة أبو السكر، عليه رحمة الله. يريدوننا بصمت معين، أما أن يسمع صوتنا شعبُنا، فهذا الذي لا يريدون. يريدون من الأسرى المحرَّرين، وكل الشخصيات الاعتبارية، أن تتقاعد عن الفعل الوطني، وأن تصبح تحفاً جميلة، ذات رمزيّة صامتة، بلا أيّ فعل وتأثير لا وطني ولا اجتماعي ولا سياسي.

■ قلتَ لدى إطلاق النار عليك، إنهم يريدونني أن أصمت، كما فعلوا مع نزار بنات، لماذا هذه الأزمة مع خضر عدنان؟
كل شخص يمتلك الجرأة والقدرة على النقد، ويحظى بالإجماع، هو شخص مزعج للسلطة والاحتلال. هم لا يريدون لأحد أن يتكلم بالسياسة وبالشأن الفلسطيني العام، أي ليس مستساغاً ولا محتملاً من قِبَل الأجهزة الأمنية أن أخرج وأقول، إن لدى الأجهزة الأمنية 70 ألف قطعة سلاح، ما قيمتها إذا لم تحمِ الشعب الفلسطيني؟ هذا الخطاب لا أقدمه عن كراهية لأحد، إنما عن منطق، وسيجد قبولاً في الشارع، لذا هذا الخطاب محرج لهم.

■ مشهدية محاولة اغتيالكم غير مكتملة للجمهور؛ هناك من يحمّلكم مسؤولية دم شهداء نابلس الثلاثة بدعوى وجود عميل في صفوف حركتكم، هل يمكنك تقديم توصيف كامل لما حدث؟
هناك شبهات بوجود أسير محرَّر كان مناسباً إلى الجهاد الإسلامي، وعلى صلة بالشهداء الثلاثة، لكن التحقيقات لم تؤكّد حتى هذه اللحظة إلى أن ذلك الشخص، هو السبب في الوشاية بالشهداء. ثمة من يتّهمه بأنه كان يحاول تنظيم الشهداء الثلاثة في خطٍ عسكري، واتضح لاحقاً أنه ذو صلة بالمخابرات الإسرائيلية. وعلى رغم عدم وجود تأكيد لهذه التهمة، نحن قطعنا الطريق أمام الجميع، بأنه إن ثبت أن ثمة عميلاً، أيّاً يكن، فإننا سنقوم بأنفسنا بالاقتصاص منه، هذا هو موقفنا الواضح. لكن السلطة اليوم، لديها في السجون وخارجها، من ثبتت عمالته، ومن هو متحمل لدماء العشرات من الشهداء، ونحن نطالبها منذ سنوات بأن تغلظ عقوبتها تجاه العملاء. من قتل الشهيد القائد في كتائب شهداء الأقصى، باسم أبو سرية «القذافي»، معتقل منذ سنوات في سجون السلطة، فلتقدم عليه حدّ الإعدام بتهمة الخيانة العظمى.

■ ذاع اسم مطلق النار عليك، هل نفّذ محاولة الاغتيال من تلقاء نفسه أم كان مدفوعاً من جهات عليا؟
من أطلق النار عليّ، قام بالاعتذار، وجل من تصرروا تلك الحادثة، طيّبوا خاطرنا بعدها، كما قامت حركة فتح في البلدة القديمة بالاعتذار. لكنني على أيّ حال، أعتقد أنه لم يقدم على هذا الفعل بشكل فردي، فلقد رُبّيَته له بعض الجهات وحرّضته عليه، حتى هو لم يقبلها على نفسه، بعدما خرج من حالة الإرباك التي كان يمرّ بها. نحن حركة مقاومة، نخوض كل يوم مواجهات مع الاحتلال، لا يجوز أن يدخل في داخل أيّ فلسطيني أيّ ظن بفساد المجموع، مع تقديرنا أنه يمكن أن تعتري كل حركات المقاومة حالات فردية، لكن ذلك ليس هو الأصل، فليس هناك غطاء لأيّ عميل، ولن نقف مع أيّ أحد يمسّ بأبناء شعبنا ومقاوميه.

■ ما هو موقف السلطة والجهات الرسمية من حادثة الاغتيال؟
السلطة غابت عن المشهد بشكل كلي، ولم تفتح أيّ تحقيق، لم يتكلم في القضية رئيس بلدية نابلس، ولا أيّ جهة أمنية، لا السلطة ولا المخابرات ولا الأمن الوقائي، حتى رئيس هيئة التعبئة والتنظيم طارق دويكات، وهو من مدينة نابلس، لم نسمع له كلمة أو موقف، وكذلك نائب رئيس حركة فتح أبو جهاد العالول من مدينة نابلس، ورئيس الوزراء، لم يُبدِ أيّ منهم أي موقف. الأجهزة الأمنية عندما سُئلت عن الحدث، وصلني أنها قالت، اعتبروا أن الحدث لم يكن، وانتم لم تسألونا، وكان أحداً أراد أن تمرّ جريمة الاغتيال بصمت، على أيد فلسطينية، بحيث لا يحمل تبعاتها لا سلطة ولا احتلال، وهو ما قاله الكاتب الإسرائيلي، يوني بن مناحيم، الذي تكلم عن هذه الحادثة بالتفصيل. لكنني أقول، أيّاً كان قاتلي، إن قتلت في يوم من الأيام، فإن القصاص يجب أن يكون من الاحتلال، فلا لي ولا لأهلي ولا لعشيرتي ولا لحركتي حق ولا ثأر، إلا من الاحتلال، فليعِ الاحتلال أن قتلنا على أيّ جنبٍ سيكون الثأر منه فقط.

■ هل هناك صلة لما يحدث لك مع تنامي حالة المقاومة في جنين وانخراط مسلحي حركة «فتح» فيها؟
لا يروق للسلطة ولا للأجهزة الأمنية التي تنسق مع الاحتلال أمنياً، أن ترى الشعب الفلسطيني ملتفاً حول شخصية مثل وصّفي كبها ولا إبراهيم النابلسي ولا خضر عدنان. لا تريد أن ترى الشباب الثائر يتوجّه إلى المقاومة بعد سنوات طويلة من الصمت والظن بأنه تمّ القضاء على بنى المقاومة التحتية في الضفة المحتلة. دماء الشهيد جميل العموري وحادثة نفق الحرية، تحيي حالة المقاومة ليس في جنين فقط، بل في طولكم ونابلس.

■ كيف ترون مستقبل المقاومة في الضفة المحتلة خصوصاً أن الفعل المقاوم يأخذ اليوم منحى أكثر تنظيماً من ذي قبل؟
المقاومة في تنام مستمر، وحالة الوعي في الشارع الفلسطيني بهذا الخيار تتصاعد، ودماء الشهداء تجد التفافاً شعبياً كبيراً، الشارع الفلسطيني يستعيد عافيته، ويعي خياره أكثر من ذي قبل، وهو يعيش اليوم مرحلة التحشيد، التي ستتطوّر إلى فعل أكثر تنظيماً وتأثيراً من ذي قبل. وتدلل عملية «حومش» البطولية التي قادها الشيخ محمد جرادات ذو الستين عاماً، على أن المقاومة لن تفنى، وأن شعبنا مستمرّ في مقاومته، وأن رجال المقاومة لا تكسرهم سنوات الأسر.

إسرائيليات

تعاون الحركة الصهيونية مع النازية: صفحات منسية

حسام عبد الكريم

بعيداً من الأفكار والمبادئ، حالة زواج مصلحة حصلت بينهما. كلا الطرفين لم تكن لديه أوهام حول الآخر. وجد النازيون والصهاينة أرضية مشتركة تجمعهما: هؤلاء أرادوا التخلص من اليهود، وأولئك أرادوا نقلهم إلى فلسطين. رأى الرايخ الثالث في هجرة اليهود وسيلة فعالة لـ"الحل المسألة اليهودية"، وكان حريصاً على دفع مواطنيه اليهود لمغادرة ألمانيا "طواعية" إن أمكن.

اتفاقية العام 1933

ذروة التعاون الألماني - الصهيوني خلال حقبة هتلر كان ما يعرف بـ"اتفاقية الترحيل"، وهي الاتفاقية التي مكّنت عشرات الآلاف من اليهود الألمان من الهجرة إلى فلسطين مع ثرواتهم. تم إبرام الاتفاقية، المعروفة أيضاً باسم "هافارا" (بالعبرية تعني "الترحيل" أو "النقل")، في آب 1933 بعد محادثات بين مسؤولي الحكومة الألمانية وحاييم أرلوسوروف، رئيس الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية في فلسطين، والذي كان المفاوض الرئيسي من الجانب الصهيوني. من خلال هذا الترتيب غير العادي، يقوم كل يهودي متجه إلى فلسطين بإيداع أموال في حساب خاص في ألمانيا، ثم تستخدم الأموال المتجمعة في الحساب لشراء، سلع ألمانية الصنع (مثل الأدوات الزراعية ومواد البناء، والمضخات والأسمدة وما إلى ذلك) يتم تصديرها إلى فلسطين وبيعها هناك من قبل شركة مملوكة لليهود في تل أبيب تسمّى "هافارا ليميتد". ويتم دفع الأموال من بيع البضائع الألمانية إلى المهاجر اليهودي عند وصوله إلى فلسطين بمبلغ يعادل وديعته في ألمانيا. وبهذه الطريقة تدفقت البضائع الألمانية على فلسطين من خلال الصفقة الصهيونية - النازية، وهكذا خدمت الاتفاقية الهدف الصهيوني لجلب المستوطنين اليهود ورأس المال التنموي إلى فلسطين، بينما في الوقت نفسه خدمت الهدف الألماني المتمثل في تخليص البلاد من مجموعة بشر غير مرغوب فيهم.
بقيت الاتفاقية سارية المفعول حتى 3 أيلول 1939 (أي حتى إعلان الحرب على ألمانيا من قبل بريطانيا العظمى). ونتيجة لاتفاقية "هافارا" هاجر 55 ألف يهودي واستقروا في فلسطين في الفترة 1933-1939. وبحسب ما أوضح آرتور باتيك، كان المنطق الصهيوني من وراء الاتفاقية هو: "علينا أن نعطي إجابة صهيونية للكارثة التي تواجه يهود ألمانيا! علينا تحويل هذه الكارثة إلى فرصة لتطوير بلدنا". كانت هناك معارضة للصفقة من داخل جهات معينة في الحركة الصهيونية، ولا سيما من القيادة الأميركية للمؤتمر الصهيوني العالمي والكونغرس اليهودي الأميركي الذين كانوا وراء حملة مقاطعة اقتصادية فعالة مناهضة للنازية وللبضائع الألمانية في عام 1933. وهؤلاء، بدأوا يرون تقويض جهودهم بسبب الاتفاق الصهيوني - الألماني. لكنهم فشلوا في إقناع المؤتمر الصهيوني في التاسع عشر في آب 1935 بالتصويت ضد الاتفاقية.
ميلدنشتاين في فلسطين: ميدالية الصليب المعقوف/نجمة داود!
نشرت صحيفة "يديعوت أحرونوت" الإسرائيلية في نسختها الإنكليزية عام 2018 مقالاً بعنوان "نازيّ يزور فلسطين: الصليب المعقوف و نجمة داود على عملةٍ واحدة". وفيما يلي ملخص عن المقال المثير:
عام 1933، و خلال الأشهر الأولى بعد سيطرة هتلر على السلطة في ألمانيا، كانت السياسة النازية بشأن "المسألة اليهودية" في حالة تبلور وتغيّر مستمر. ورغبة منه في التأثير في أهل السلطة الجدد، طلب "الاتحاد الصهيوني الألماني" من أحد أعضائه الناشطين، الدكتور كورت توخلر، وهو قاض ألماني يهودي مرموق، تحديد واختيار المسؤولين النازيين المعتدلين الذين يمكن التعامل معهم وكسبهم لصالح الحركة الصهيونية. اتصل توخلر بصديقه ليوبولد فون ميلدنشتاين، الذي كان مسؤولاً في "المكتب اليهودي" في الحزب النازي وكان معروفاً بكتاباته الصحافية، ودعاه لمرافقته والقيام بزيارة مشتركة إلى فلسطين (التي كانت تحت الانتداب البريطاني). وبالفعل سافر الاثنان، مع زوجتيهما، في رحلة طويلة من ألمانيا إلى فلسطين وبالسيارة! وهناك اصطحب توخلر صديقه النازي في جولات طويلة، دامت ستة أشهر، في أنحاء فلسطين لتقييم التطور الصهيوني والاطلاع على نشاطات وأحوال المستوطنات اليهودية فيها. وبناء، على مشاهداته وملاحظاته المباشرة، كتب ميلدنشتاين سلسلة من 12 مقالاً طويلاً، مع الصور، لصحيفة "دير أنجريف" اليومية البرلينية المهمة، وهي إحدى منافذ دعاية الوزير النازي المشهور جوزيف غوبلز، والتي نشرتها في أواخر عام 1934 تحت عنوان "رحلة نازيّ إلى فلسطين". وفي سلسلة المقالات تلك عبر ميلدنشتاين عن إعجابه الشديد بالروح الريادية والإنجازات التي حققها المستوطنون اليهود. وكتب أن التنمية الذاتية الصهيونية انتجت "يهودياً جديداً"! وأشاد بالصهيونية باعتبارها منفعة عظيمة للشعب اليهودي والعالم بأسره. وكتب في مقاله الختامي أن وطناً لليهود في فلسطين "خطوة صائبة في الطريق إلى علاج جرح مستمر منذ قرون في جسد العالم: المسألة اليهودية". وبتلك المناسبة أصدرت جريدة "دير أنجريف" وساماً خاصاً، ميدالية نحاسية منقوش عليها الصليب المعقوف من جهة ونجمة داود من جهة أخرى! كتذكار وتكريم لتلك الزيارة المشتركة الصهيونية – النازية.
وفي عام 2018 بيعت تلك الميدالية النحاسية التي كانت بحوزة أحد هواة جمع القطع النادرة من خلال مزاد عبر الإنترنت، واشتراها أحد اليهود الأميركيين مقابل 850 دولاراً.
أدولف أيخمان والصهاينة
بحلول نهاية الثلاثينيات من القرن الماضي، كانت جهات رسمية داخل الرايخ الثالث تدعم بفعالية ما تطلق عليه الأوساط الصهيونية "عالياه بيت"، أي بمعنى الهجرة الفردية أو غير الشرعية لليهود إلى "أرض إسرائيل". وأحد المحرّكين لهذا التوجّه النازي كان أدولف أيخمان ذاته، وهو الذي دخل التاريخ بوصفه أحد المسؤولين الرئيسيين عن عمليات تجميع وترحيل يهود أوروبا إلى معسكرات الاعتقال النازية في بولندا وغيرها. في شهر آب 1938، أنشأ أيخمان ما عُرف بـ"المكتب المركزي للهجرة اليهودية" أو ما صار يُطلق عليه اختصاراً بالألمانية "تسينترال شتيله"، ومقرّه في فيينا، لكي يتولى المسؤولية عن جميع الأمور العملية واللوجستية بما في ذلك التنسيق مع الصهاينة. وتحوّل "تسينترال شتيله" إلى نقطة اتصال لجميع اليهود الجاهزين أو المستعدين للهجرة الذين صاروا يعرفون أين يتوجهون.

> بحلول نهاية الثلاثينيات كانت جهات رسمية داخل الرايخ الثالث تدعم بفعالية ما تطلق عليه الأوساط الصهيونية "عالياه بيت"

عملية نقل اليهود إلى فلسطين كانت تتم عبر الانتقال أوّلاً إلى أراضي سلوفاكيا، وهي دولة موالية للرايخ الثالث، ومن هناك على طول نهر الدانوب إلى البحر الأسود، عادة على متن قوارب وسفن مستأجرة من "الجمعية الألمانية للملاحة في الدانوب". و الجانب الألماني كان يساعد في الحصول على تأشيرات العبور ووثائق السفر.
بحلول شباط 1939، وبإشراف من أيخمان ومكتبه، هاجر حوالي مئة ألف يهودي نمساوي. في أوائل عام 1939 عيّن أيخمان برتولد ستورفر، وهو مصرفي وتاجر من عائلة يهودية ذات أصول رومانية/أوكرانية، وعهد إليه بتنسيق جميع الأمور المتعلقة بهجرة اليهود بالنيابة عنه ومنحه توكيلاً رسمياً باسم الرايخ الثالث. ومنذ ذلك الحين كان على عملاء الصهاينة الاتصال بستورفر. وبناء، على مشاهداته وملاحظاته المباشرة، كتب ميلدنشتاين سلسلة من 12 مقالاً طويلاً، مع الصور، لصحيفة "دير أنجريف" اليومية يغيّر الخطط المقترحة من قبل الجانب الصهيوني.
كان الصهاينة في فلسطين مسرورين بنتائج عملهم مع الألمان وكيفية تقدّمه. في اجتماع للوكالة اليهودية في نهاية عام 1938 قال ديفيد بن غوريون: "من دون الهجرة الجماعية لليهود محكومٌ على الصهيونية بالفشل وسوف نخسر هذا البلد".
عمدة لندن السابق
خلال حديث إذاعي في عام 2014، أثار اليساري الشجاع كين ليفينغستون، عمدة لندن بين عامي 2000 و 2008، غضب المنظمات الصهيونية في بريطانيا من خلال ملاحظاته حول التعاون الصهيوني - النازي في الثلاثينيات. وقبل ذلك في مذكراته في عام 2011، ذكر ملاحظات صادمة وجريئة حول دعم هتلر المبكر للصهاينة. في إشارة إلى التعاون بين الجستابو الألماني وعملاء أجهزة الصهاينة لتسهيل الهجرة اليهودية إلى فلسطين، يقول ليفينغستون: "الصهاينة هم المجموعة اليهودية الوحيدة التي كان هتلر مستعداً للعمل معها". ويضيف أن "سياسة هتلر كانت في الأصل إرسال جميع يهود ألمانيا إلى إسرائيل (فلسطين)، وكانت هناك اجتماعات بين الحركة الصهيونية وحكومة هتلر تم الحفاظ عليها بشكل سرّي، ولم تظهر إلا بعد الحرب". وقبل ذلك كتب ليفينغستون: "تفاوض الصهيوني العمّالي حاييم أرلوسوروف على اتفاق مع النازيين لإنشاء شركة تجارية، هافارا، لبيع البضائع النازية، بالتالي تقويض المقاطعة التي نظمها النقابيون والشيوعيون". وأضاف: "بالطبع كان الدعم بالطريقة نفسها التي طُبعت بها الميداليات التي كانت تحتوي على الصليب المعقوف من جهة ونجمة صهيون من الجهة الأخرى. هناك بالفعل تاريخ حقيقي من التعاون".
وقال أيضاً: "عندما اجتمع العديد من كبار النازيين في تموز 1937 في مكتب وزارة الخارجية قائلين: يجب أن نتوقف عن إرسال اليهود إلى فلسطين لأن ذلك يمكن أن يؤدي لإنشاء دولة يهودية، في منتصف ذلك الاجتماع يأتي توجيه خاص من هتلر يقول: لا، سنستمر في هذه السياسة". ومضى ليفينغستون ليذكر مزيداً من التفاصيل حول العلاقات بين الجانبين، واصفاً الصهاينة بـ"المتعاونين".
من الواضح أن ليفينغستون قارئ جيّد للتاريخ ومطلع تماماً على الأنشطة الصهيونية قبل الحرب العالمية الثانية. كان من الطبيعي أن تصريحاته تسببت في قدر كبير من الغضب في أوساط المنظمات واللوبي الصهيوني في المملكة المتحدة. ولكن المفارقة كانت أن مثل هذا اليساري التقدمي المعروف والذي هو أبعد ما يكون عن العنصرية، أُجبر في النهاية على ترك حزب العمّال تحت اتهامات معادة السامية!

كيف يبرر صهاينة اليوم؟

نشر الكاتب الصهيوني البريطاني بول بوغدانور، مقالاً طويلاً على الإنترنت في عام 2017 هاجم فيه كين ليفينغستون ووصف التعاون الصهيوني مع النازيين بأنه "أسطورة". وقد حاول جاهداً دحض "نسيج الأكاذيب" كما وصفها، فيما يلي بعض حججه:
- كان الغرض من اتفاقية "هافارا" هو "إنقاذ اليهود الألمان والحفاظ على جزء بسيط من ممتلكاتهم من السرقة من قبل النظام النازي". وبشأن كسر حملة مقاطعة البضائع النازية يقول "كان من الأفضل الاستمرار في المقاطعة"، لكنه بعد ذلك أعفى الصهاينة من اللوم وأوجد لهم عذراً أخلاقياً لأنهم فعلوا ما فعلوا "من أجل اليهود الألمان الذين انتزعوا من براثن النازية!" هم في الحقيقة 80 ألفاً. الشماتون ألفاً من يهود ألمانيا والنمسا والتشيك الذين تمكنوا من الهجرة القانونية وغير الشرعية إلى فلسطين بفضل ضحية محتملة للإبادة الجماعية النازية تم إنقاذهم".
- بشأن الميدالية التي تحمل على وجهيها الصليب المعقوف ونجمة داوود، يقول: "كانت الميدالية عبارة عن دعاية خالصة، ابتكرها النازيون للتظاهر بأنهم يريدون حلاً" مشرفاً لـ"المسألة اليهودية"، وأن اليهود "هم شركاؤهم على قدم المساواة في إيجاد مثل هذا الحل".
- بخصوص تعليمات هتلر لعام 1937 للقادة النازيين بمواصلة دعم الهجرة اليهودية إلى فلسطين، يقول: "توجيهات هتلر كانت تدعو إلى هجرة اليهود إلى كل وأي مكان في العالم خارج ألمانيا، وليس فقط إلى فلسطين".
من الواضح أن بوغدانور فشل في "دحض" أي من الحقائق التاريخية حول التعاون الصهيوني مع النازيين. هو في الواقع اعترف بجوهر وتفاصيل التعاون الصهيوني-النازي، ولكنه ببساطة قدّم بعض الأعذار "الأخلاقية" في محاولة للتستر على الصهاينة.

الأخبار
al-akhbar
السبت 5 آذار 2022 العدد 4577

رحيل

أمس، أغمض الناشر الفلسطيني زياد منى (1950 ـ 2022) عينيه في دمشق، وطنه الثاني، التي تمسّك بالإقامة فيها في عزّ الحرب رغم توافر الخيارات أمامه. انطفأ الناشر والمثقف النقي والكاتب والباحث في التاريخ القديم والدراسات التوراتية، في «مستشفى الأسد الجامعي» بعد مسيرة فكرية غزيرة، كانت بوصلتها دوماً فلسطين التي لم يشح بنظره عنها لحظةً واحدةً. مثقف موسوعي نال شهادة الدكتوراه في مجال الفلسفة من «جامعة لايبتزغ» الألمانية، ثم واصل أبحاثه في «جامعة هومبولت» في برلين في مجال الدراسات التوراتية، وكان صديق كبار الكتّاب والناشرين في العالم. مع عودته إلى دمشق، أسّس «دار قدمس»، في موازاة حضوره النوعي الكثيف فوق صفحات «الأخبار» خلال كل هذه السنوات ناقداً وقارئاً ومناقشاً. ورغم المرض وصعوبة العيش في بلد تحت نير الحرب والحصار، ظلّ صامداً بقوّة الإرادة وتفاؤلها، مواظباً على الإنتاج الفكري، أكان فوق صفحات الجريدة، أو في مشاريعه الكثيرة، التي كانت فلسطين شغلها الشاغل

الكاتب والناشر الذي لم يشح بنظره عن فلسطين

زياد منى مثقّف شجاع حتى الرمق الأخير

زياد منى خلال إطلاق «دار قدمس» عام 1999

خليل صويلح

انطفأ أمس في دمشق، زياد منى (1950- 2022)، بعد صراع مع المرض. وكان الباحث الفلسطيني الراحل أحد القلائل الذين اشتغلوا على تظهير صورة فلسطين القديمة، وتخليصها من الأوهام الاستشراقية، والأكاذيب الصهيونية، متكئاً على معرفته العميقة بعلم التاريخ القديم والدراسات التوراتية. إذ أنجز منذ منتصف تسعينيات القرن المنصرم مجموعة من الكتب الإشكالية المهمة، أبرزها «جغرافية التوراة: مصر وبنو إسرائيل في عسير» (1995)، و«مقدمة في تاريخ فلسطين القديم» (2000)، و«تلفيق صورة الآخر في التلمود» (2002). وقد أثارت معظم كتبه جدلاً واسعاً، خصوصاً كتابه الأول الذي تناول فيه جغرافية التوراة انطلاقاً من أطروحة كمال الصليبي «التوراة جاءت من جزيرة العرب»، هذه الأطروحة التي زلزلت الأفكار المستقرة عن تاريخ فلسطين القديمة. فأرض التوراة ـ بحسب هذه الأطروحة ـ كانت في عسير وليس في فلسطين وأصل بني إسرائيل ليس اليهود، فهؤلاء شيء وبنو إسرائيل شيء آخر، معتمداً على منهج التحليل اللغوي، ودراسة النقوش القديمة، والبحث في معاني الكلمات وليس على الأسطورة، عن طريق قراءة النصوص الأصلية باللغة العبرية أو الآرامية. يقول زياد منى باطمئنان الباحث الرصين: «لا نحتاج إثباتات لتأكيد حق الفلسطينيين بأرضهم فلسطين، وعندما يتعلق النقاش بتاريخية هذه المنطقة من العالم، فإن موقع الدولة العبرية يكون بالضرورة خارج هذا النقاش، انطلاقاً من أن هذه المجموعة من الصهاينة أتت إلى فلسطين واغتصبت الأرض وهجرت الشعب الذي سيخرجهم منها في يوم من الأيام ويعيد لتاريخ المنطقة وجهه الحقيقي». هذه النظرة الراسخة، سوف تواكب اشتغالات صاحب «بلقيس لغز ملكة سبأ» مثل بوصلة لا تحيد عن جهة القدس، رغم محاولات ملفّقي التاريخ إزاحتها عن الهدف، لقناعته الأكيدة بأن روايات الآخرين محض تزوير لحقائق تاريخية وعلمية دامغة لا تمسها العواطف.

هكذا انخرط زياد منى في متاهة التاريخ، بعدما هجر دراسة إدارة الإعمال لمصلحة الفلسفة في «جامعة لايبتزغ» الألمانية، مقتفياً أثر كمال الصليبي في دراسة التوراة ضمن سلسلة من الحوارات التي أجراها معه، ورصانة جواد علي في قراءة التاريخ. «أنا حيادي اتجاه الحقائق العلمية» يقول. ولتمكين موقعه كباحث وناشر، أسس قبل نحو عقدين مع شريكه زياد أسرب «دار قدمس» التي اعتنت بتوثيق تاريخ المنطقة، وتفكيك أساطيرها برؤية نقدية رصينة. إلا أن صعوبات متعددة أدت إلى توقّف «قدمس» عن النشر أخيراً. عدا اعتنائه بقراءة التاريخ، خاض زياد منى سجالات كثيرة في محاولة منه لتصحيح الصورة المهتزّة للقضية الفلسطينية، بالإضافة إلى قراءات معمّقة للكتب الإشكالية المكتوبة بلغة الآخر، فوق صفحات ملحق «كلمات» في «الأخبار». بغيابه سنخسر باحثاً نوعياً لطالما عمل على مواجهة المواقف المزيّفة والآراء السطحية والمراوغة التي تقع في باب الأذى لقضيته المركزية فلسطين بجرأة نادرة. لم يعد زياد منى إلى القدس كما كان يحلم، وسيشيّع جثمانه اليوم من مستشفى الأسد الجامعي، ويدفن في «مقبرة نجها» في ريف دمشق.

* يشيّع جثمان الكاتب عند الحادية عشرة من صباح اليوم السبت من «مستشفى الأسد الجامعي» في دمشق إلى «مقبرة نجها» حيث يوارى الثرى. تقبّل التعازي على الرقم التالي: 00963933255891

مؤلفاته

أصدر الراحل العديد من المؤلفات في مجال التاريخ القديم، والدراسات التوراتية من بينها: «مقدمة في تاريخ فلسطين القديم» (2000)، و«تلفيق صورة الآخر في التلمود» (2002)، و«بلقيس امرأة الألغاز وشيطانة الجنس» (1997)، و«جغرافية التوراة: مصر وبنو إسرائيل في عسير» (1995)، و«الأبيونيون وورق بن نوفل» (2001)، و«بلقيس لغز ملكة سبأ» (2004). ومن الكتب التي ترجمها، نذكر «الكتاب المقدس والاستعمار الاستيطاني - أمريكا اللاتينية جنوب إفريقية فلسطين» للأب مايكل برير، فيما راجع كتباً عدة من بينها: «النهايات: الهوس القيامي الألفي» لديتر تسمرلنغ، «المولوخ إله الشر - تاريخ الولايات المتحدة» لكارلهاينتس دشنر، و«معركة القادسية، معركة اليرموك، معركة هليوبوليس».

المنقّب في حضارات المنطقة

يتحدّث صاحب «دار الفرات للنشر والتوزيع» في بيروت الباحث عبودي أبو جودة عن زياد منى، الذي جمعته به صداقة شخصية وتواطؤاً فكرياً. يقول أبو جودة: «زياد منى ولد في القدس، ولطالما كان يشدّد على هذه النقطة. والده كان يعمل في ليبيا بعد عام 1949. ذهب زياد إلى الأردن في أوائل السبعينيات حيث انتمى إلى حركة «فتح»، وشارك في الدفاع عن المقاومة. مع تأزّم الأوضاع في الأردن، انتقل إلى بيروت حيث واصل النضال، وكان مسؤولاً في المكتب الإعلامي المركزي حتى أواخر عام 1977 قبل أن ينتقل إلى ألمانيا لمواصلة دراسته الجامعية». يعدّد أبو جودة اشتغالات منى الفكرية التي كان هاجسها فلسطين: «درس اللاهوت المشرقي، ثم انتقل إلى الحضارات القديمة في المنطقة. في أوائل التسعينيات، عاد إلى دمشق ليتخذها مقرّ إقامته الدائمة وحضناً لمشروعه العزيز على قلبه. في عام 1999، أسس «دار قدمس» التي اهتمّت بالدراسات الحضارية والثقافية عن المنطقة، وإعادة توضيحها بشكل سليم وعلمي ودقيق. نشر منى باللغة العربية كتاب العالم توماس طومسون (الماضي الخرافي/ التوراة والتاريخ) الذي نقض النظرية التوراتية بالكامل. هذا ما كلّف زياد توقّف الجامعات التي كان يعلّم فيها، عن التعاون معه. نشر منى العديد من الدراسات الهامة من بينها دراسات كمال الصليبي عن حياة المسيح، والدراسات اللاهوتية القديمة، إلى جانب كتبه الخاصة عن الحضارات القديمة وتاريخ فلسطين.

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

المدير الفني
صلاح الموسى

المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
تلفاكس: 01759500 01759597
ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnewspaper

الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
التوزيع
شركة الأوائل
15ـ01/ 666314 ـ 03 / 828381
الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar

السبت 5 آذار 2022
العدد 4577 السنة السادسة عشرة
Samedi 5 Mars 2022 nº 4577 16ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

في متاهة النيوكولونيالية

«عرب وضاعوا»*

(من قصيدة «سقط القناع» لمحمود درويش)

اوزبي ـ «الامبراطورية تزدحك» (مواد مختلفة على كانفاس ـــ 123,2 × 66 سنتم)

ملف

الحرب الروسية ـ الأوكرانية... بلطجة «الغرب»

«روسوفوبيا»: في ذمّ مثقف الكولونياليّات «الشقراء»

بسحب أبي رغال. الدليلُ العربي لجيش ابرهة. من سياقه التاريخي، صار استعارة يمكن ان تنطبق على بني جلدتنا من المثقّفين الذين استرشدت بهم الحملات الاستعمارية القديمة والنيوكولونيالية الرّاهنة لسحق الشعوب وتضليلها... وفي ادنى الدرجات ادّعاء التزام حياد بارد بزعم خلال احتدام الصراعات المحلية والإقليمية والدولية. وربما كان امثل نموذج على ذلك توصيف بورخيس لحرب جزر الهالويين بين بلاده الأرجنتين وانكلترا بأنها «أصلعان يتحاربان من اجل مُشط».

اما ببلادنا العربية، فقد عرفت دوماً المثقّف النّابع، سواء لانظمة بدورها تابعة او للقوى الاستعمارية مباشرة. لكن الانكى هو مابرز قبل وخلال وبعد سقوط بغداد (2003) وخلال الطوفان السوري. ظاهرةٌ مايمكن تسميته بـ «المثقّف اليساري السابق الذي يقدّم خدماته للسفارات والقنصليات وصنائعها من جماعات السّلفية الجهادية». ولئن شهدنا حتى اواخر القرن الماضي تحالفات لا تفاجئ احداً تمتد من اليمين الليبرالي المحلي حتى اسياده الغربيّين مروراً بجماعات الإسلام السياسي، فقد أُضيف لهذا التحالف ـ مع بداية القرن الحالي وقبْلَهُ مع التّيه الايديولوجي المتأتي من تفكّك الاتحاد السوفياتي ـ المثقّفُ «اليساري» السابق. الذي لا يرى ضيراً في تبرير حصار وتجويع العراقيّين، ولا في تقديم خدمات استشاريّة للبنتاغون وما يوازيه من اذرع عسكرية ومخابراتية. ولا حتى في تدبيج «رسالة شكر وعرفان واعتراف بالجميل إلى الرئيس الاميركي جورج بوش ورئيس وزراء بريطانيا توني بلير والى الشعبين الاميركي والبريطاني وجيشي البلدين في مناسبة تسليم السلطة للعراقيّين» (كان وراء الرسالة المفكّر التونسي المجالسي العفيف الاخضر، صاحب ادقّ واكمل ترجمة لـ «البيان الشيوعي» والسريالي العراقي المتمركس عبد القادر الجنابي). سياق هذه المقدمة هو الهستيريا الغربية الحالية التي تريد بالقسر والتضليل صنع راي عالمي مصاب بما يشبه الـ «روسوفوبيا» الذي نَحْرُ ان يتميز به المثقّف العربي (والعالمثالثي عموماً) عن المثقّف الغربي. بل إنّ بعض مواقف الاول تكاد تكون استنساخاً مبتذلاً لمواقف الثاني (كما هو واضح في بعض نصوص الملف ادناه). وبالعودة إلى الروسوفوبيا فنحن ندرك جيداً أنّ المنظومة الروسية الحالية لا يمكن ابداً اعتبارها لا تقدّمية ولا ذات أدنى صلة باليسار العالمي. لكننا كنا دوماً نُنزِّه ويُثمّنْ وهمينغوايّ عمّا يقترفه البنتاغون. ولا نأخذ كاتباً او فناناً بجريرة رئيس. لكنّ توالي ما جرى بعد الاجتياح الروسي لاوكرانيا من ردود افعال غربية طالت التراث الادبي والفني الروسي وإعلامه بلغ حدّاً من السخافة والقرف لا يسعنا إزاءه إلا التضامن المطلق مع ضحاياه: فمن وقف تدريس دوستويفسكي في «جامعة بيكوكا» الإيطالية (تم التراجع عن القرار بعد حملات الضغط والاستهجان)، إلى فرض «الجمعية الدولية للقطط» عقوبات على القطط الروسية، إلى وقف «نتفليكس» تصوير فيلم مقتبَس عن «انا كارنينا» للروائي العظيم تولستوي. مرورا بمنع الرياضيّين والسينمائيّين والموسيقيّين والراقصين الروس من المشاركة في أيّ مهرجانات أو لقاءات اوروبية ودولية... كلّ هذا ولا يكفّ الغرب عن تذكيرنا بأنّ الرئيس الأوكراني فولوديمير زيلينسكي فنّان. قادم من العالم الفني. في خضم هذا الصراع المحتدم، حيث تحاول اكثر من قوة قتل الروح النقدية وعزل الأحداث عن سياقاتها التاريخية، قمنا في هذا الملف بتجميع آراء راهنة (مرتبطة بالحدث) واخرى فكرية/ نظرية (تستند إلى قراءة تاريخية لمآلات التطور البشري)، ولم نشأ التعليق على بعضها فرادى. رغم ما تحويه من تضليل. تاركين للقارئ تكوين رأيه الخاص به. بتحفيزه على معرفة وتحرّ يحاولان العودة إلى جذور القلاقل التي يتتبعها الآن على الشاشات

ترجمة تحرير وتقديم **رشيد وحتي**

ادوارد سعيد في نيويورك عام 1999 (مايكل بيرك/ وكالة «غيتي»)

عبد اللطيف اللعبي (*)

المجدّ للشعب الأوكراني

يدرك الكُلُّ بأيّ قدر من الشجاعة، من الإصرار، قاد الشعبُ الأوكراني، في 2014، ثورته من ساحة مايْدَنْ، مجبراً رئيسَ ساعتئذٍ، خادمَ سيد الكرملين، على جمع حقائبه، ما سمح أخيراً بإجراء انتخابات حرّة في البلاد والخلاص إلى إقامة ديموقراطية حقيقية.

الحربُ دون هوادة التي يقودها النظام الديكتاتوري ضدّ الديموقراطية الأوكرانية الفتيّة لا يمكن وصفُها إلا بالجريمة ضدّ الإنسانية.

فلا ينبغي لنا أن نأخذ التهديد الذي يلوّح به فلاديمير بوتين على محمل استهتار. فهو نابعٌ من شخص يمكن حقاً التشكيك بتوازنه العقلي. هي المرة الأولى في تاريخ البشرية التي يمكن فيها لما لا يخطر على بال (أعني الاستعمال غير اللائق وخارج أيّ ضبط للسلاح النووي) أن يحدث، للأسف، لينتج عنه أمر آخر لا يخطر على بال: كارثة على صعيد الكوكب، ستضع استمرار الجنس البشري موضعَ خطر.

في الوضع الراهن، أفضل أن أكون «متخوّفاً» على أن أكون «واقعياً». فاليوم، لا يفعل بوتين إلّا ما تعنينا مباشرة، وهي تُشير لنا بالإصبع من دون أن تلقي في اتّجاهنا ولو أبسطَ نظرة، لتُفْهِمَنا قيمتنا كأصفار في عيون الغرب. يموت الأطفال في فلسطين في كلّ وقت، وفي هذه الأيام بالذات، لكنهم مجرد أطفال عرب، إرهابيون افتراضيون في «الأرض الإبراهيمية المقدّسة جداً»، رغم أنها عربية، كما يريدُ ذلك التفكير الديموقراطي جداً والحرّ لدى الفرنسيّين وغيرهم. لكن، لنعْ على الأقل أنّ الغرب وحشٌ يسلّط عليه هذا الصراعُ الأضواءَ، والاقتناعُ بذلك يمثّل على الأقل تقدُّماً. ابتلع الصحافيون والمعلّقون السنتهم وصاروا يردّدون، من دون أن يرفّ لهم جفنٌ، نفسَ الخطاب. لكن يتوجّب علينا تحية بعض الأصوات، النادرة جداً في الواقع، التي تجرُؤُ على تذكيرنا بسياق هذه الحرب، ولِمَ تمّ إشعالها، ومن هم محرّكوها الأساسيون. وعلينا أن نتذكّر أيضاً أنهم إذا كانوا بحاجةٍ، مرة أخرى، إلى أراضينا ومواردنا، لن يتردّدوا أبداً في سلبنا إيّاها، مع إمطارنا بالقنابل باسم الكفاح من أجل الديموقراطية في وجه الهمجي العار لبلدان الأنوار حيث تَعُمُّ منذ الآنَ الظَّلاميَّة.

- عن فايسبوك.

(*) عالِم اجتماع مغربي وأستاذ في «جامعة محمد الخامس» في الرباط

زكريا محمد (*)

غربٌ فاشي

الغرب الذي أراد أن يظهر دوماً هادئاً ورزيناً تحوّل أمام أول اختبار لما يُعتقد أنه تهديد لأمنه إلى غرب فاشي شعوباً وحكومات.

■■■

الغرب يسلك سلوك عصابات بلطجيّة. يمنع وصول الحقيقة إلى الناس بكلّ طريقة. فهناك حقيقة واحدة فقط هي التي تقرّرها العصابة الغربية.

■■■

للمرة الأولى منذ عقود طويلة جداً، تتشكل فرصة للمبادرة إلى الاشتباك مع إسرائيل من جانبنا. فأميركا والغرب مشغولان بحربهما الضارية التي ستطول مع روسيا. وهذا ما يجعلهما بين مكبّلتين تجاه أحداث منطقتنا، فهما لا يستطيعان الدخول في حربين معاً. لذا فأسوأ كوابيسهما هو أن تحصل حرب ضد إسرائيل.

بناءً عليه، فهذه فرصة لم تحصل من قبل للقوى التي تسمّي نفسها مقاومة وممانعة ومدافعة وما إلى ذلك من أسماء. هذا هو وقتها إن أرادت الفعل حقاً. ولن تحصل على فرصة أفضل من هذه أبداً. هذه هبة من الله، وفرصة لا تفوّت مطلقاً.

إنها فرصة لتحقيق الكابوس الغربي.

غير ذلك سيكون هراء.

أما الهراء الأكبر، وهو هراء مثقّفين وإخونجيّين، فهو أن نذهب إلى الحرب إلى جانب الأوكرانيّين بدل ذلك.

- عن فايسبوك

(*) شاعر وباحث فلسطيني

سلافوي جيجيك (*)

الحرب العالمية الثالثة

ثمة إذن، على ما يبدو، صنفان من اللاجئين، لاجئونا (الأوروبيون)، أي «اللاجئون الحقيقيون»، ولاجئو العالم الثالث، الذين لا يستحقّون ضيافتنا. نشرت الحكومة السلوفينيّة تغريدة على حسابها على تويتر، يوم 25 شباط (فبراير)، مقيمةً بكل وضوح هذه التفرقة: «لاجئو أوكرانيا قادمون من بيئة ثقافية، دينية وتاريخية مختلفة كلياً عن نظيرتها لدى اللاجئين الأفغان». بعد الضجة التي افتعلتها هذه التغريدة، سحبها مقترفوها سريعاً، لكن مارد الحقيقة الوقحة انفلت من القمقم للحظة وجيزة.

بعد العدوان الروسي، فضّل بعض المتموقعين «يساراً» (لا يمكنني استعمال الكلمة، في هذا السياق، من دون زوجي مزدوجات) توجيه اللوم إلى الغرب. القصة معروفة: الأطلسي يخنق ويزعزع روسيا ببطء؛ ولنتذكر أنّ الغرب هاجم روسيا مرتين خلال القرن الماضي، ثمة فعلاً بعض حقيقةٍ هنا، لكن التصريح به يبرّر لهتلر إلقاء اللوم على اتفاقية فرساي التي حطّمت الاقتصاد الألماني. ما يعني أيضاً أنه قد يكون للقوى الكبرى حقّ مراقبة مجالات تأثيرها، مضحيةً باستقلالية الأمم الصغيرة على مذبح الاستقرار العالمي.

ما يفعله بوتين الآن استنساخ متأخّر للتوسّعية الإمبريالية الغربية. ولصدّه، علينا مدّ جسور نحو بلدان العالم الثالث، التي للعديد منها قائمة طويلة من الإدانات المبرّرة ضد الاستعمار والاستغلال الغربيَّيْن. لا يكفي «الدفاع عن أوروبا»: تتمثّل مهمّتنا الحقيقية في إقناع دول العالم الثالث أننا، في وجه مشكلاتنا العالمية، نستطيع أن نقدم لهم خيارات أحسن من خيارات روسيا أو الصين، وأنّ الطريقة الوحيدة لبلوغ ذلك هي أن نغيّر أنفسنا فيما وراء السياسة الملائمة المابعد كولونيالية، أن نتخلّص من دون رحمة ممّا فينا من أشكال النيوكولونيالية، بما فيها تلك المقنّعة بالمعونات الإنسانية. وإذا لم نقم بهذا، فما علينا إلّا أن نتساءل لماذا لا يرى أهالي العالم الثالث في الدفاع عن أوروبا دفاعاً أيضاً عن حريّتهم، لا يرون ذلك لأننا لا نقوم به حقاً. هل نحن مستعدون للقيام به؟ أشك في ذلك.

- عن «نوفيل أوبسرفاتور»

(*) فيلسوف سلوفيني، يتحسب نفسه من أهمّ مؤثّري تيار اليسار الراديكالي، يغرف من هيغل، ماركس ولاكان

فاطمة المحسن (*)

القفزة الحمقاء

القفزة الحمقاء في الهواء تكلّف الشعوب أثماناً باهظة. لعل غزو بوتين لأوكرانيا يذكّر بما فعله صدام في الكويت. فصدام لم يكن يؤمن بالتاريخ ولا تحرّك الجغرافيا، ولهذا وقع في حفرتيهما بسهولة. كان يردّد مثل بوتين اليوم، هذا الجزء المقطوع من الشجرة الأم وأريد إعادة الفرع إلى الأصل. طبعاً، هذه كذبة فصيحة لابتلاع ثروات الكويت بعدما أفلس. وهكذا غدت الحفرة جاهزة. لكن ما هو الثمن الذي ستدفعه روسيا في ظلّ وضع عالمي جديد؟ لعلّها لن تخضع لعقوبات في المستقبل مثلما جرى للعراق، ولن تضطر لدفع تعويضات لجارتها العزيزة أو لشقيقتها المنتقمة، فالعراق دائماً يسقط في شرك مصالح الأخوة الأعداء.

حمى الله الشعوب من حروب النقمة والانتقام، وقرارت الغطرسة والوطنيات الحمقاء.

- عن فايسبوك

(*) كاتبة وناقدة

كفى الزعبي (*)

أزمة فكرية

انتقلت الأحزاب الشيوعية العربية إلى الرفيق الأعلى ما إن انهار الاتحاد السوفياتي. أمّا فتات هذه الأحزاب م شيوعيّين عرب، فقد ورثوا أسوأ ما هذه التجربة: أزمتها الفكرية الت أخذت تتجلّى بوضوح منذ بداية هذا القرن بإبّان احتلال العراق وظهور «شيوعيّين أميركيّي الهوى». ثم تجلّت هذه الأزمة أكثر مع بداية «الربيع» العربي بظهور شيوعيّين مؤيّدين لهذا «الربيع» على اعتبار أنه ثورة! وها هو بوتين الآن يستفزّ مشاعرهم التي تبدو لي في جوهرها ذات طابع قبلي (ولاء قبلي لرموز الحركة الشيوعية العالمية)، حينما انتقد لينين!

لقد أعلن بوتين مراراً وتكراراً أنّه ليس شيوعياً. إنه قومي روسي يدافع عن مصالح وطنه القومية الإستراتيجية التي تتناقض مع مصالح الغرب. الغرب لا يريد روسيا دولة قوية، وإن كانت تنتهج النمط الرأسمالي في الإنتاج، خصوصاً أنّ البنية الثقافية لهذه الدولة تتناقض جوهرياً مع البنية الثقافية الغربية. لقد سعوا لتدمير روسيا حتى في عهد يلتسين الذي سلّمهم كل شيء.

لكن الشيوعيّين العرب (سواء كانوا أميركيّي أو ليبينيّي الهوى) يغضّون الآن النظر عن أنّ سياسات بوتين الخارجية تتقاطع مع المصالح القومية الإستراتيجية للعرب: لنا!

أنا شخصياً لا يهمّني الآن عمّال العالم ومن

ملف

الحرب الروسية ـ الأوكرانية... بلطجة «الغرب»

ضمنهم عامل إسرائيلي يحتلّ أرض فلسطين ويُصارع الرأسمالية (ولا سيّما أنه في واقع الحال لا يصارعها، بل يصارع العامل الفلسطيني).

(*) كاتبة أردنية

عباس بيضون (*)

عبادة القوّة

عبادة القوّة عميقة في العقل القومي ونسيبه الديني العربيَين. هذا وراء الافتتان بوتين والغزو الروسي لدى البعض غير القليل. لو وقف بوتين في شرق أوكرانيا لكانت له، بحسبه وحسبه وحده واستئناف النضال من أجل نظام اشتراكي عادل يُخلّص البشرية من شرور الرأسمالية، بل هو يكافح من أجل استرجاع أمجاد الإمبراطورية الروسيّة ويسعى لأن يكون للبرجوازية الروسية نصيب أكبر من «كعكة العالم» الذي تحتكره البرجوازيات الغربية عموماً.

- رغم الطبيعة القومية الرجعية لهذا النظام، نجاح روسيا في تعديل ميزان القوى العالمي يمكن أن يمثّل متنفّساً لبلدان الجنوب، التي قد تشهد اندلاع ثورات في المرحلة المقبلة. لكن حتى هذا مشروط بتمكّن بلدان الجنوب (خاصة في منطقتنا العربية) التي تنجح فيها الثورات ذات القيادة الاشتراكية الوطنية، من بناء تكتلات إقليمية وازنة قادرة على التفاوض والمناورة. وقياساً على ذلك، ينطبق التحليل نفسه إقليمياً على النظام الإيراني الذي يوسّع ـ رغم شوفينيّته ومحافظته ـ من خلال صراعه مع الكيان الصهيوني باب الخيارات الممكنة للشعوب العربية.

- رغم الاقتناع بالطبيعة الرجعية العميلة للنظام الأوكراني، فإنّه لا يجب الموافقة على التدخّل العسكري الروسي في أوكرانيا وانتهاك سيادتها والعمل على احتلال عاصمتها وتغيير نظامها. فمن يقبل بذلك اليوم في أوكرانيا، لن يستطيع رفضه غداً عندما يأتي دوره. وتغيير الأنظمة مسألة تخص الشعوب وحدها.

- إن كان لهذه الحرب من منافع، فهي بلا شكّ فضحها (مجدّداً) لعمق نفاق المراكز الإمبريالية الغربية وازدواجية معاييرها. فما هو ممنوع اليوم ومدان بالنسبة إلى روسيا، كان وما زال مباحاً ومتاحاً لأميركا والكيان الصهيوني في فلسطين والعراق وسوريا وأفغانستان وغيرها.

- أوضحت هذه الحرب بعد مرور أسبوع واحد على اندلاعها مدى تهافت الخطاب الليبرالي الغربي وزيفه. فإلى جانب تنكّر الدول الغربية لخطابها المخاتل عن رفض أسلوب المقاطعة (عندما تستعمله شعوبنا ضدّ الكيان الصهيوني المحتلّ وحروبه)، رأينا جامعات واتحادات دولية رياضية ومؤسسات فنية تقاطع روسيا من دون تمييز بين حكومة وشعب. كذلك، نرى درجة الشراسة التي يمكن أن يبلغها حصار القوى الإمبريالية الغربية. إذ رأينا الشركات الرأسمالية الغربية تنسحب من مشاريع مشتركة في روسيا («شال» و«بي بي» في مجالات الطاقة مثلاً)، بل وصل الأمر حتى بشركات الإنترنت (فايسبوك وإنستغرام وتويتر وغوغل) إلى حجب المحتوى الروسي. كذلك، رأينا كيف أنّ صندوق النقد الدولي والبنك العالمي لم يتردّدا في تخصيص مساعدات عاجلة لأوكرانيا (من دون شروط مجحفة أو طلب «إصلاحات مؤلمة» كما اعتادا فعله مع بلدان الجنوب).

- عن فايسبوك

(*) كاتب تونسي

نعوم تشومسكي (*)

مسؤولية التأزم في أوكرانيا

الحل الأمثل لسلامة أوكرانيا (والعالم) أن يكون على شاكلة الحياد النمسوي/ الإسكندنافي الذي مورس خلال الحرب الباردة، ما كان يُسمح لهذه البلدان بالانتماء إلى أوروبا الغربية على هواها، من دون السماح بنشر قواعد أميركية على أراضيها. قواعد كانت ستُعتبر تهديداً لها ولروسيا. بالنسبة إلى الصراعات الداخلية الأوكرانية، يوفّر اتفاق «مينسك 2» إطاراً عاماً. كانت واشنطن قد تعهّدت لغورباتشوف «بأنّ الحلف الأطلسي لن يتوسّع ولو بوصة واحدة شرقاً»، وهو العهد الذي أخلفه كلينتون سريعاً، وبوش بإفراط. لم يكن ليتغيّر شيء، حتى لو تحوّل العهد الشفوي إلى وثيقة موقّعة. فمرافعة الولايات المتحدة، هنا، لا ترقى حتى إلى مستوى الكوميديا. للولايات المتحدة احتقار مطلق للمبادئ التي تتغنّى بها. وهو ما يؤكده التاريخ الراهن مرة أخرى بطريقة فُرجوية. المشكل، بالنسبة إلى واشنطن، أعمق: كل حلول إقليمية تشكل تهديداً حقيقياً لدور الولايات المتحدة الدولي. وهو قلق ما انفك يتزايد منذ الحرب الباردة. فهل بوسع أوروبا أن تلعب دوراً مستقلاً في الشؤون الدولية؟ هل بوسعها أن تسير على خط ديغول، مع فكرة عن أوروبا الممتدة من البحر الأطلسي إلى جبال الأورال، وهي الفكرة التي أعاد غورباتشوف إحياءها في مرافعته، خلال 1989، عند حديثه عن «بيت أوربي مشترك»، و«فضاء اقتصادي فسيح من البحر الأطلسي إلى الأورال»؟!

لم يكن، ساعتئذ، التفكير ممكناً في هذه الرؤية الواسعة لغورباتشوف، بوجود نظام أمني أوروآسيوي من لشبونة حتى فلاديفوستوك، ومن دون تكتلات عسكرية. وهي فكرة تم رفضها بالمطلق خلال المفاوضات، منذ ثلاثين سنة، بعد تصفية ما بعد الحرب الباردة. هو الأمر نفسه في المواجهة مع الصين: خرق الصين للقانون الدولي في البحار المجاورة، يطرح مشكلات جدية، رغم أنّ الولايات المتحدة، كقوة ملاحية، وباعتبارها البلد الوحيد الذي يرفض المصادقة على القانون الملاحي للأمم المتحدة، ليست في موقف قوة يسمح لها بمصارعة الصين.

في نظام مبني على القوانين، الولايات المتحدة هي من يصوغ القوانين.

لا أظن أن الولايات المتحدة ابتكرت طرقاً جديدة في الوحشية الإمبريالية الغربية. يكفينا النظر إلى أسلافها المباشرين في السيطرة على العالم، الغنى والسطوة العالمية للبريطانيَين مُتَأتّيَان من القرصنة (شخصيات مُؤسِّطرة كالسير فرانسيس دْريـكْ)، من نهب الهند بالمكائد والعنف، من الاستعباد البغيض، من أكبر شركة للمتاجرة الدولية بالمخدرات وأفعال أخرى تجاوزها «بيعاً»؛ فرنسا ليست أقل شأناً. أما بلجيكا، فقط حطمت الرقم القياسي في ما يخص الجرائم المروعة.

- عن موقع investigaction.net

(*) عالم لغويات أميركي وأهم دارسي الخطاب السياسي المعاصر

إدوارد سعيد (*)

خيانة المثقّف... لا مقاومةَ من دون ذاكرة

لا مقاومةَ من دون ذاكرة ومن دون قيم كونية. فإذا كان التطهير العرقي شرّاً في يوغوسلافيا — من سيشكك في ذلك؟ —، فهو أيضاً شرٌّ في تركيا، في فلسطين في أفريقيا وفي أماكنَ أخرى. والأزمات لا تتوقف أبداً عندما تتوقف CNN عن تغطيتها. وإذا كانت الحرب قاسية ومكلفة، فهي كذلك، سواء كان الطيّارون الأميركيون على ارتفاع 5000 متر أو لا. وإذا كانت الديبلوماسية دوماً أحسن من الوسائل العسكرية، فلا ينبغي إذن التضحية بها حتى عندما لا تكون الضحية من الجنس الأبيض ولا أوروبية.

تبدأ المقاومة لدينا، في وجه قوّة لنا عليها سطوةُ كمواطنين. عندما يتم تمويهُ الوطنية في شكل نزعة قومية لتدّعي الخضوع لإجراء أخلاقي، وعندما تضع الإخلاص تجاه أمّتها فوق كل اعتبار، بحيث يصير هذا الإخلاصُ أقوى من الوعي النقدي، فإن خيانة المثقفين وإفلاسهم الأخلاقي يصيران في حكم القضاء المبرم.

- من مقالة بالعنوان نفسه، نُشِرَتْ في «الوموند ديبلوماتيك» (الطبعة الفرنسية، آب/ أغسطس 1999، في سياق القصف الأطلسي الممنهَج لصربيا)

(*) مفكر فلسطيني (1935 – 2003)، رائد الدراسات المابعد-كولونيالية والدراسات الثقافية مع كتابه «الاستشراق»

هادي العلوي (*)

الجهل بالتاريخ

الجاهل قد يكون مثقفاً كبيراً، والأمّي إذا نظرناه في غِرارِيَّة الفرد العادي قد يكون أصحّ وعياً من المثقف الكبير، فالأمية لا ترادف الجهل، بل قد تجد ترادفاً بين الجهل والثقافة. الأمي هو الفرد العادي، لا يقرأ ولا يكتب. والجاهل قد يقرأ ويكتب ويكون له نصيب من الثقافة، لكنه يُسيء فهم حقائق الأشياء، ويفتقر إلى الوعي الاجتماعي والسياسي. ويصدر عن الجاهل المثقّف من التصرفات والأفكار الضارة أكثر ما يصدر عن الأمي. وقد تحدّثت عن الثوابت الثلاثة عند الأميين. وهي تشكل نقاط وعي ومؤثرة وعميقة في المجتمع. وهذه تجتمع في الجماهير الأمية، وقلّما تجدها مجتمعةً في الوسط الثقافي. وقد ميّزت الفلسفة الإسلامية بين مرتبتين من الجهل، هما الجهل البسيط، والجهل المركب.

معنى الأول، أن لا تفهم شيئاً. ومعنى الثاني، أن تفهم أشياء مغلوطة. وهذا الأخير هو ما أقصده بجهل المثقف الذي يُسيء فهم الأشياء رغم اشتماله على المعرفة. ولو أردنا متابعة جهالات المثقفين في العصر الحاضر سواء في الشرق أو الغرب، لوقفنا على حقيقة ما أريد إثباته.

برتراند رسل، أعظم فلاسفة القرن العشرين، دعا سنة 1947 الولايات المتحدة الأميركية إلى قصف الاتحاد السوفياتي بالقنابل الذرية للقضاء عليه قبل أن يمتلك القنبلة الذرية. أيُّ جهلٍ أشد من هذا الجهل الذي يرتكبه فليسوف كبير، حين يدعو إلى إبادة شعوب بكاملها من أجل بقاء حضارته الغربية؟

برتراند رسل أيضاً ذهب في الثلاثينيات إلى الصين، ضمن حملة غربية لاستعمار الصين ثقافياً. وفي كتابه الهام جداً «تاريخ الفلسفة الغربية»، شطب رسل على الرشدية اللاتينية التي شغلت أربعة قرون من تاريخ أوروبا. والدافع عنصري. هذه تصرفات أكبر فلاسفة القرن العشرين!

ألا يحق لي الحديث إذن عن الجهل المركّب للمثقفين؟ والجهل الثقافي لا يتمثل فقط في السلوكيات الجاهلة، بل في عدم معرفة حقيقية لأمور كثيرة يُفترض أن لا يجهلها أهل المعرفة. والجهل عند مثقفينا المعاصرين يجمع بين جهل السلوك وجهل العقل. وأكثر ما يجهله مثقفونا هو التاريخ.

■■■

عندما قسّمتُ الثقافة المعاصرة إلى ثقافة غربية وثقافة حديثة، وأخذت بالحديثة ورفضت الغربية، فهذا يعني أخذ الكثير ممّا هو معنوي كفكر غربي لكنه حديث، وميزته عن الفكر الغربي بخصائصه المعادية للآخر، سواء كان هذا الآخر جغرافيا سياسية أم جغرافيا اجتماعية تنتمي إلى معسكر الفكر نفسه «الطبقاتُ العاملة في الغرب».

وأودّ الإشارة أيضاً إلى الفكر المعارض في الغرب، وهذا قد يكون معارضاً في نطاق السياسة الداخلية وهو كثير، ومعارضاً في السياسة الخارجية وهو قليل. نعوم تشومسكي مثلاً الذي ينتمي إلى خط الثقافة الحديثة خارجاً من قيود الثقافة الغربية. الفكر المعارض في الغرب قام ويقوم بدور عظيم في إصلاح المجتمع الغربي وتخليصه من آثار الهمجية. وعلماء الاجتماع الغربيون ساهموا بدور عظيم في تحسين وضع السجون الأوروبية التي كانت حتى القرن التاسع عشر مسالخ بشرية، لكن هؤلاء العلماء أنفسهم لم يطلقوا صيحة واحدة ضد المسالخ البشرية التي يصنعها الغربيون في القارات الملونة. أعداد منهم كانوا ولا زالوا يصدرون عن حالة انشقاق فردي، فيخرجون عن السائد.

- هادي العلوي: «حوار الحاضر والمستقبل» (1999).

(*) مفكر ومؤرخ ولغوي عراقي (بغداد، 1932 – دمشق، 1998)؛ باحث منقّب في التاريخ العربي ـ الإسلامي بمنهجية ماركسية، على خطى معلمه العلّامة الشهيد حسين مروة.

(أنجين ايكوورت ـ تركيا)

> الغرب الذي أراد أن يظهر دوماً هادئاً ورزيناً تحوّل أمام أول اختبار لما يعتقد أنه تهديد لأمنه إلى غرب فاشي شعوباً وحكومات (زكريا محمد)
>
> الحرب التي يقودها النظام الديكتاتوري ضدّ الديموقراطية الأوكرانية الفتيّة جريمة ضدّ الإنسانية (عبد اللطيف اللعبي)
>
> رغم الطبيعة القومية الرجعية لهذا النظام، نجاح روسيا في تعديل ميزان القوى العالمي يمكن أن يمثّل متنفّساً لبلدان الجنوب (غسان بن خليفة)
>
> الجهل عند مثقّفينا المعاصرين يجمع بين جهل السلوك وجهل العقل. وأكثر ما يجهله مثقّفونا هو التاريخ (هادي العلوي)

غسان بن خليفة (*)

متنفّس لبلدان الجنوب

ملاحظات سريعة حول الحرب في أوكرانيا

- الاستخفاف بمشاهد الحرب وما تخلّفه من موت ودمار بدلٌ على تبلّد في المشاعر وعلى تفاهة فكرية وأخلاقية.

- التعامل بمنطق «ضدّ روسيا وضدّ أوكرانيا» على حد سواء من دون محاولة تعليل هذا الموقف (على طريقة «كلنْ يعني كلَن» في لبنان) يدلّ على نوع من الكسل الذهني لدى البعض، وعلى نزعة أخلاقوية لدى البعض الآخر.

- الدفاع عن الطبقات الشعبية (أي الانتماء إلى الفكر الاشتراكي) لا يعني بالضرورة السقوط في خطاب ماركسي «أممي» سطحي من نوع «بوتين يكره لينين». لذا نحن ضدّه أو «نحن مع الطبقة العاملة الأوكرانية المعتدى عليها». فالبرجوازيون الأوكران أيضاً يتعرّضون للاعتداء من الدولة البرجوازية الروسية.

- مصالح الطبقات الشعبية في مختلف بلدان العالم هي مسألة أساسية بلا شكّ لدى أصحاب الفكر الاشتراكي. لكن حتى هذه المسألة تخضع للتنسيب ولمنطق الأولويات. إذ لا يمكن التفكير مثلاً في المساواة بين الطبقات الكادحة الصهيونية والطبقات الكادحة الفلسطينيّة، كما لا يمكن التعاطف مع طبقة عاملة مهيمَن عليها ثقافياً (مثل الطبقة العاملة الأميركية) لطالما سادت أو صمتت عن/ أو أفادت من غزو دولتها البرجوازية لبلدان العالم. ولا النظر بالطريقة نفسها إلى الطبقات الكادحة في بلدان الجنوب (التي تعاني التفقير والإذلال القومي إلى جانب استغلال الرأسمالية المحلية التابعة للمراكز الإمبريالية) والطبقات الكادحة في بلدان الشمال الإمبريالي (التي تعاني الاستغلال الرأسمالي لكن مقابل أجور وخدمات اجتماعية معقولة بفضل الرّيع الإمبريالي الذي تحصّله برجوازيّاتها من بلدان الجنوب).

- بالنسبة إلى الاشتراكيّين، المسألة الرئيسية في التحليل يفترض بتقديري أن تكون السعي نحو الشروط الموضوعية والذاتية الأنسب لقيام ثورات متتالية تقضي على النظام الرأسمالي وتبني على أنقاضه الاشتراكية في مختلف أرجاء العالم. ولا شكّ في أنّ تحليل لينين بأنّ بلدان الجنوب (المستعمرة وشبه المستعمرة) هي «الحلقة الأضعف في السلسلة»، بما يرشّحها لاحتضان هذه الثورات، ما زال قائماً. وهذا ما يتطلّب بلا شكّ في مرحلة أولى حصول حدّ أدنى من توازن القوى العالمي، بما يسمح لدول الجنوب التي تصل فيها أنظمة اشتراكية ثورية باللعب على التناقضات وحماية تجربتها وتطويرها ونشرها. والمعلوم أنّ الصين وروسيا هما من أكثر الدول المرشّحة لتعديل ميزان القوى مع الإمبرياليات الغربية المهيمنة.

- لا معنى للشرط السابق ذكره من دون حصول ثورات تقودها قوى اشتراكية. حصول هذا التعديل في ميزان القوى لن يؤدّي آلياً إلى انتهاء المنظومة الرأسمالية المعولمة، بل قد ينتهي الصراع بين القوى الإمبريالية القديمة والصاعدة إلى توافقات جديدة على حساب بلدان الجنوب.

عناوين النصوص من وضع التحرير

ملف

الحرب الروسية ـ الأوكرانية... بلطجة «الغرب»

تأمّلات في ثقافتنا الأميركية: لماذا لا نصدّق الروايات المُضادّة؟

طارق العياري

«لقد كان الموقف الذهني للمستعمر أساس السلطة الإمبريالية. فلقد أعطى قبوله للإخضاع ـ سواء أكان ذلك بسبب شعور إيجابي بالمصلحة بينه وبين الدولة والأمّ، أم بسبب عجزه عن تصوّر أيّ بديل ـ الإمبراطوريّة الضّلالة وقابليّة الاستمرار» (إدوارد سعيد ـ «الثقافة والإمبرياليّة»/ 1993)

إضافة إلى السّيل الإعلامي الكبير للغربيّين في الحرب الدائرة في أوكرانيا، الذي لم يعد إعلاماً بل

كان نمط الحياة المتخيّل عند شيوعيّي أوروبا كما يُنسب لميشال فوكو، هو تعميم نمط حياة البرجوازية الأوروبية في القرن التاسع عشر

طابور خامس محبوس في كهف أفلاطوني يرى الديموقراطية التمثيلية والفردانية والقوّة والسلم الأميركية منتهى الحضارة الإنسانية

لاحظ جلال أمين أنّ ثمّة أنواعاً من السّلع الغربيّة لا يمكن الاستمتاع بها إلاّ في ظلّ انتشار أنماط القيم الاجتماعية الخاصة بها

دعايةً صريحةً، أحاول هنا البحث في بعض وجوه الدعاية الغربية وأسباب قوتها، إضافة إلى مناقشة بعض أسباب مقبوليّة السردية الغربية، وتبنّيها على حساب نقيضتها الروسية في هذه الحرب من قبل أغلب الفئات المتعلّمة. على الرغم من تواجد خطاب إعلامي مضادّ للدعاية الغربية («روسيا اليوم»، بعض المواقع والمدوّنين) إلاّ أنّ اليد الطولى تبقى لرواية الغرب من ناحية الكم والنجاعة.

روايةٌ واحدة هي السائدة في الفضاء الأوروبي الآن، وقد حوّلت ــ كما وصفها السوسيولوجي الجزائري المغترب سعيد بوعمامة ـ الصراع الدولي المعقّد بين الكثير من الفاعلين الدوليّين، إلى «حدّوتة للأطفال» حيث الغول الروسي قرّر الاستيلاء على أوكرانيا البريئة من أجل إرساء نظام فيها يكون لخدمته. يقول سعيد إنّها مثل كلّ حدّوتة نستخلص منها عظة ما، في حالتنا هي التالية: يجب بكلّ الوسائل إيقاف شبه التوسع الروسي. ولذلك، يجب تعزيز قوات الناتو في المنطقة. ولهضم هذه القصّة التي تبدو معزولة بلا سياق سياسي أو تاريخي أو اجتماعي، تماماً كقصص الأطفال، نُسجت العديد من القصص الرومانسية الصغيرة التي تدور في فلكها حول شجاعة المغلوب وامتشاق السلاح من الوزيرات وملكات الجمال، إلى شجاعة القطط ودعم السماء أيضاً (عبر صور الملائكة في السماء الأوكرانية). شعب شجاع وذكيّ يحارب بندّية غزواً غاشماً يقوده رئيس مزاجي تبحث المخابرات الأميركية عن معلومات عن حالته الذهنية في أيّام الاجتياح الأولى.

«أرض خصبة»

لم يكن صدامنا بالغرب متكافئاً يوماً. أورد الراحل جورج طرابيشي في «المرض بالغرب، التحليل النفسي لعصاب جماعي عربي» أن ثمة إجماعاً في الخطاب العربي المعاصر على توصيف لحظة احتكاك العالم العربي بالغرب بأنها كانت بمثابة صدمة بين جسم متحرّك وجسم ثابت دبّت فيه الحركة في استجابة لهذه الصدمة. لعلّ الناظر إلى أشكال اتصالنا بالغرب منذ قرنين إلى الآن، قد يرى أنّ أغلب تاريخ اتصالنا بالغرب كان تاريخاً متوالياً من الصّدمات، نكون فيها دائماً في موقع ردّة الفعل. وقد أخذت ردّة الفعل أشكالاً متعدّدة من محاولة اللحاق بالغرب، إلى رفضه والنكوص إلى الوراء وتدمير الذات كما وصف طرابيشي ردة فعل النخب العربية بعد يونيو 67 وهي تبحث عن سبب الهزيمة.

على أنّ هذه الصّدمات المتوالية لم تكن نتيجة للصدامات العسكرية فحسب، فالنخب المستقلّة التي نشأت على آداب الغرب وفكره، لم تتخيّل لشعوبها مستقبلاً خارج الحضارة الغربية التي تشرّب هؤلاء أدبها وثقافتها بمقدار يوازي الثقافة المحلية. وقد حافظت على استعمال لغة المحتلّ السابق كإجراء عقلاني يحكمه تفوّق «هذه اللغة في العديد من الميادين» كما حاجج ليوبولد سنغور الذي يعدّ مع الحبيب بورقيبة أبرز مثاليْن على ذلك. والأخير كان محبّاً لأوغست كونت رائد الفلسفة الوضعية الذي كان أثره السياسي عليه طاغياً. أثر كونت الكبير كان وراء رؤية بورقيبية السياسية والحضارية التي تجلّت في خطابه الشهير في أريحا وفي أغلب خياراته السياسية في البلاد وخارجها، وفي عملية التحديث الأوروبية في بلاده. كان بورقيبة الوريث الأكبر لما اصطلح على تسميته بحركة الإصلاح والتحديث التقانة العالية والمعارف العلمية التي تمّ استيرادها من دون أن يتمّ توطينها. تمّ التعامل معها كأصنام سلعية، معزولة عن السياقات السياسية والتاريخية التي أنتجتها. وراكم حضور التقانة مفعول الصدمة بالغرب، وصعوبة اللحاق به أو مواجهته. كم كان خطاب بورقيبة الرئيس قاسياً وقميئاً وهو يتحدّث في أحد خطاباته عن التجائه لفنّي فرنسي يصلح له جهاز التدفئة في مقرّ إقامته، مؤكداً حتميّة التبعيّة واستحالة المواجهة مع الغرب.

أمركة العالم

تالياً، لم تكن بلداننا في معزل عن الحرب الباردة، وعن الصراع الثقافي الدائر فيه. في الواقع، كان الأداء الغربي هو الأنجع على المدى الطويل، وقد كان مُداراً بعناية وببذخ كبير. نقل فيليب تايلور في كتابه «قصف العقول»، ما قاله أيزنهاور في بداية الحرب الباردة: «إنّنا نخوض الآن حرباً باردة، ولا بدّ لهذه الحرب الباردة من هدف، وإلّا لكانت بلا معنى. إنّنا نخوضها ونقودها على أساس الاعتقاد بأنّه إذا لم تكن هناك حرب، وإذا سُمح لنظامين مختلفين من الحكومات أن يعيشا جنباً إلى جنب، فإنّ نظامنا نحن هو الذي سيفوز في المدى الطويل لأنّه صاحب الجاذبيّة الأعظم للناس في كلّ مكان وللبشريّة كلّها. إنّ نظامنا نحن هو الذي سيُنزل الهزيمة بكل أنواع الحكومات الديكتاتورية لأنّه صاحب الجاذبية الأعظم للنفس الإنسانيّة، وللقلب الإنساني وللعقل الإنساني».

لقد كان أيزنهاور واضحاً جعل هذا العالم أمريكياً. لقد انتصرت الولايات المتّحدة في هذه الحرب، ليس على السوفيات فقط، لكن على أغلب شعوب العالم وذابت أغلب ثقافات العالم وبدأت تضمحلّ أمام هول الأمركة. لم تات أمركة العالم في شكل أنماط ثقافية مستوردة لوحدها فقط. فقد لاحظ المفكر المصري جلال أمين أنّ ثمّة أنواعاً من السّلع الغربيّة لا يمكن أن يتمّ الاستمتاع بها إلاّ في ظلّ انتشار أنماط القيم الاجتماعية الخاصة ببيئة بالمجتمع الغربي. لذلك، فالدعاية لتلك الأنماط تحت شعار التنمية واللحاق بالغرب، إنما تهدف إلى التكييف الثقافي لفئات اجتماعية تمثّل سوقاً محتملاً لاستهلاك المنتوجات الغربية. وقد لاحظ الكاتب العراقي فلاح الرهيمي في مقاله: «احتلال العراق وتطبيق مرحلة العولمة فيه» السرعة الكبيرة لتطبيق آثار العولمة في العراق تحت الحربٍ، إذ لاحظ الارتفاع الكبير لعدد السيارات بسرعة قياسية في مقابل نزيف العملة الصعبة إلى الخارج، مع تدفّق كبير للسلع الاستهلاكية المتنوعة من أجهزة كهربائية وملابس وأحذية، ومنتوجات زراعية أسهمت في تدمير الصناعة العراقية بسرعة قياسية، وهجرة الفلاحين لأرضهم ورحيلهم إلى المدن. ويكمل فلاح بأنّ آثار الإلحاق الدموي للعراق بالعولمة، ترتّب عنه ظهور طبقة برجوازية طفيلية في العراق، وظهور نمط استهلاكي ترفي وزيادة اعتماد العراق على الدول الأجنبية في كل ما يحتاجه من غذاء وحاجات للاستعمال أو العمل ما يعرّض العراقيين لابتزاز هذه الدول.

في الواقع يمكن أن تمحو اسم العراق وتضع اسم أي بلد عربي آخر، فآثار العولمة متطابقة تماماً مع اختلاف السرعة التي تتمّ بها هذه العمليّة. لكن عملية هو تعميم نمط حياة البرجوازية الأوروبية في القرن التاسع عشر.

واجهت هذه النخب الحديثة معضلة أخرى أيضاً تمثّلت في تونس في القرن التاسع عشر، ولم يبتعد أفقه الفكري كثيراً عنها. كان الزمن ما يُفرّقه عن أحمد باي وخير الدين باشا لا الأفكار. والأخيران صيغ وعيهما تحت وطأة الصدمة بالغرب والولع به.

على أنّ هذا الولع الساري لغاية الآن، يمكن تفسيره بالتبادل اللامتكافئ للثقافة والأفكار بين حضارتين تعيشان أطواراً متباينة بصفة متزامنة. ومن الطبيعي في هذا الظرف أن يكون مسارها ـ الثقافة ـ من الأقوى إلى الأضعف، خالقاً بالتالي حالةً من التبعية من قبل مجتمع مهشّم متناقض متشكّك في تراثه الفكري والروحي، وأكثر ارتباطاً بثقافة المتبوع.

على أنّ تعميم التعليم، وهو الجهاز الإيديولوجي الأهمّ للدّولة ـ رسّخ هذا التبادل اللامتكافئ الذي امتدّ جماهيرياً ليشمل كلّ النخب التي أنتجتها الدّولة المستقلّة حديثاً، لتعيد بذلك إنتاج هذه الحالة من التّبعية برضى تام. إنّ تراتبية القوّة بين الأمم والطبقات، تحكم القانون، حتى الشيوعيّين في أوروبا كما يُنسب لميشال فوكو، كان نمط الحياة المتخيّل عندهم التكيف الثقافي، لا تهدف فقط إلى تكييف أنماط الاستهلاك والإنتاج، لكنها وسيلة ناجعة لديمومة التبعية الاقتصادية نفسها، ليأخذ الأمر شكل دائرة مغلقة تحكم القبض على المجتمعات التابعة.

على إثر معركة «سيف القدس»، غرّد «مطبّع عربي» مهنئاً بافتتاح مطعم جديد لـ«ماكدونالدز» في مدينته، محاولاً إغاظة باقي العرب بأن «خليكم مع القضيّة فلن تعطيكم ماكدونالدز». في الواقع وكما علّق صديق عربي، فإنّ تحرير فلسطين يعني في ما يعنيه أيضاً تحريرنا من أنماط الاستهلاك التابعة وتحرير جماهيرنا من تمثّل التقدّم باستهلاك «الهوت دوغ».

خلال الأيام الأخيرة وخلال كلّ جولة قتالية يكون الغربيون طرفاً فيها (إسرائيل منتج غربي)، يُعيد الطّابور الخامس في بلداننا تذكيرنا بإيمانه المطلق بالرواية الأميركية للعالم وتفوقهم الأخلاقي، وتفوّق الأسلحة الأميركية وعدمية محاولتنا التملص منها وإنهائها. هذا الطابور الخامس هو منتجٌ خام لهذه الرواية الأميركية ومُنتجٌ لها. مع آليات الاستتباع المذكورة أعلاه، وسيطرة الثقافة السطحية باعتبارها «ثقافة البرجوازية الطفيلية في مرحلة العولمة» وهي ثقافة تمتاز بغياب الوعي التاريخي في مقاربة أيّ من معضلاتنا وبسيطرة «العقل الإداتي» والتماهي مع القويّ رغم أنّه معتد، تجد الدعاية الأميركية طريقها إلى عقولنا بكلّ سلاسة. فهذه الأرضية التي تمّ تخصيبها لسنوات طويلة بحتمية التفوق الأميركي وديمومته سواء عبر التعليم أو اللغة أو بريق هوليوود، صارت مهيّأة لتحيّل أنّ النموذج الغربي وحده هو المهيّأ لقيادة العالم، وأنّه النموذج الحضاري الحالي الأرقى وأفضل ما يمكن أن نصل إليه، وأنّ سيادة الغربي علينا أفضل من سيادة الصيني أو الروسي. من الطبيعي والحال هذه أن يصدّق هؤلاء أنّ صندوق النقد والبنك الدّولي مؤسّستان حياديّتان لا تقومان في السّلم بما تقوم به الآلة العسكرية في الحرب.

ومن الطبيعي أنّ الناتو جاء فعلاً لتحرير بلداننا لا لتدميرها، وأنّ الروس كائنات متوحّشة لا عقلانيّة، وأنّ مئات القواعد الأميركية هي ضمانات للسّلم والقتل، وأنّ تنميطنا والسخرية منا ومن معتقداتنا في الكاريكاتور والأفلام والوصمات التلفزيونية هو حرية رأي وضمير. يحبس هذا الطابور الخامس نفسه في كهف أفلاطوني يرى فيه الديموقراطية التمثيلية والفردانية والقوّة والسلم الأميركية منتهى الحضارة الإنسانية، من دون أن يتخيّل عالماً آخر خارج هذا الكهف لا نكون فيه أتباعاً لأحد، سادة على أنفسنا ومواردنا... عالم قائم على الاحترام المتبادل بين الأمم والثقافات، نتعرّف فيه بلا عُقد على ميراثنا الإنساني وعلى الميراث الذي لا نعرفه لجيراننا في العالم.

ستيفان سيبر ــ «الحلم الأميركي» (2021)

المركزية الأوروبية ترسم حدود الخير والشر

الليبرالي الأبيض: أنا الحق، والحق أنا

أنس الأسعد

تتواصل العمليّة العسكرية الروسية في أراضي الشرق الأوكراني. في مقابل ذلك، تتكشف شيئاً فشيئاً الحبكة الرثّة للإعلام الغربي في تعاطيه مع المسألة، ابتداءً من الجهر الفاحش بعنصرية بيضاء، وكلام عن لاجئين بعيون خضر وشعر أشقر، وصولاً إلى النداء بوجوب المقاطعة الإعلاميّة والفنّية لكل ما نَمَتْ لروسيا بصلة. ويبدو أنّ تلك الدّعوات تذهب باتجاه التّنفيذ لا على طريقة «صيد الساحرات» فحسب، ولو أنّ التشبيه بات مكرّراً وعريقاً في أوروبا الغربية وأميركا منذ نهاية الحرب الباردة، بل إنّها دعوات تتعدّى حالة التّطيُّر السّاذجة تلك من كلّ ما هو روسي، إلى الالتباس بمفاهيم «التضامن» وكونيّته التي روّجتها الميديا الغربية في العقد الأخير وفقاً لميزان التنوّع الليبرالي المُختلّ، فصار لزاماً على دول الجنوب والأطراف أن تُثبت ولاءها، وتتخلّص من ادران «الإرهاب» بعبور نُخبها من خلال هذه البوابة فقط. «أنت تتضامن مع الرّجل الأبيض إذن أنت موجود» اليوم تُعاد صياغة هذه الشعارات النّمطية بشكل يستنزف كلّ التّعديلات المطلوبة؛ للتّوافق مع ادّعاء مظلوميّة مُبتذلة أمام «آخَر» ليس له أي وظيفة سوى احتكار الشّر.

تتوازى نداءات المقاطعة الفنّية مع ارتفاع وتيرة العقوبات السياسيّة والاقتصادية، ولا يُمكن حصر أي جهة هي التي أطلقت الشّرارة؛ بالنظر إلى ما تُبديه المؤسّسات الغربية في ما بينها من تسابُق على إعلان القطيعة والطّرد. ولو بدأنا من آخرها، فعلى الصّعيد السينمائي، أعلن منظّمو «مهرجان كان السينمائي» أنّهم لن يستقبلوا وفوداً روسيّة في الدورة 75 المُزمَع عقدُها بين 17 و28 أيّار (مايو) المقبل، في حال لم يتوقّف الصّراع، أو لم ينتهِ بطريقة مقبولة للشعب الأوكراني. وقد ذُيّل الإعلان بإشارات عن الوفاء إلى مقاومة فرنسا للاحتلال النّازيّ 1939 في غمز واضح يكشفُ كيف تنظر الميديا الغربية إلى روسيا وشخص رئيسها بوتين. من جهتها، أعلنت شركة «وورنر ميديا» أنّها ستجمّد عرض فيلم «باتمان» في الصّالات الرّوسية، وحَذَت حذوها شركتا «ديزني» و«سوني بيكتشرز». ولم يتخلّف عمالق البثّ الشبكي نتفليكس عن اللحاق بالرّكب، إذ أعلنت الشبكة عن فضّ الاتفاق مع التلفزيون الرّوسي الذي ينصّ على توزيع قنوات تلفزيونية روسيّة بشكل مجاني في البلاد، ومن بينها القناة الأولى الحكوميّة.

تبقى الجبهة الأسخن تلك التي تشغلها مواقع التّواصل الاجتماعي، إذ خفّض عمالق التّواصل فايسبوك (ميتا) المحتوى الخاص بوسائل الإعلام الحكومية الروسيّة، وردّت الحكومة الروسية على ذلك بفرضها قيوداً على وصول مستخدمي فايسبوك على الأراضي الرّوسية، وفق ما أعلنت عنه «الهيئة الرّوسية للرقابة على الاتصالات» (روسكوم نادزور). ولم تكن الحال مع تويتر أفضل، هو الذي اتّهمه الهيئة بنشر معلومات زائفة حول تطوّر الأوضاع في أوكرانيا. كما انضمّت إلى القائمة شركة «أبل» التي صرّحت بوقف بيع كلّ منتجاتها وحجب بعض التطبيقات، وهذا بالضّبط ما نادى به قبل أسبوع وزير التحول الرقمي في أوكرانيا ميخائيل فيدوروف. وتراصفت الضّغوط من غوغل ويوتيوب اللتين لم توفّرا فرصة في الامتثال لسياسات التقييد والحظر، ولكن اللّافت أنّ تطبيقات مثل «تيك توك» (ByteDance) خرجت عن كونها منصّات أقل شأناً، وحاولت الانخراط في اللعبة العالميّة، وتحقيق نقاط «إنسانيّة» من خلف الاجتياح الرّوسي، رغم أنّ هذه الشركة الصّينيّة سبق أن تعرّضت لضغوط أميركيّة من قبيل تقييد ومنع ما هو «صيني»... تلك اللحظة المجنونة التي كان على رأسها دونالد ترامب.

بالانتقال إلى ميادين كالرياضة والموسيقى والأكاديميا، فيبدو أنّ دويّ المقاطعة صارَ موازياً لأصوات المدافع. منظمة الفيفا التي تُقدّم وتؤخّر بُلداناً وفقاً لأهواء سياسيّة عالميّة وجدت في الحرب فرصةً ملائمة للعوم في التّيار الجارف من دون أي تكلّف أو نَظر، المنظّمة ذاتها التي عاقبت ومنعت لاعبين رفعوا شعارات للتضامن مع غزّة المُحاصرة، قرّرت استبعاد المنتخب الروسي من التّصفيات المؤهّلة لكأس العالم في قطر 2022، وهذا ما تطلّب ردّاً من الاتحاد الروسي لكرة القدم الذي وصف القرار بـ«التمييزي»، وانسحبت قرارات الاستبعاد على المنتخب الرّوسي للسيدات، والأندية المُشاركة في «الدوري الأوروبي». وفي الوقت الذي تبدو فيه دعوات المقاطعة مُراوحة بين الجذب الإعلامي والحرص على استغلال الجماهيريّة، وهذا يجد لهُ الكثير من الانتهازية في عالم الميديا، تأتي دعوات المقاطعة الأكاديميّة أو «التحفّظ» من بعض الجامعات لأعمال ومقرّرات تتناول الأدب الروسي وأعلامه الذين ماتوا في القرن الماضي أو ما قبله، لتُذكّر بنبوءة الرّوائي الروسي فيودور دوستويفسكي بأنّ الجهلة لن يتركوه يرتاح حتى وهو ميّت. هذا ولم نَقل شيئاً عن سحب «أوركسترا زغرب الفيلهارمونية» (كراوتيا) مقطوعات لتشايكوفسكي كان منويّاً عزفُها في «قاعة حفلات فاتروسلاف ليسينسكي»، وإلغاء دار الأوبرا الملكيّة في لندن عروض فرقة «باليه بولشوي» لهذا الموسم، ومطالبة «دار أوبرا سكالا» في ميلانو من المخرج غيرغييف توضيح موقفه من الحرب في أوكرانيا، وتخلّي «أوركسترا ميونيخ» عن المايسترو الروسي فاليري غيرغييف المؤيد لبوتين.

وفي الوقت الذي يتنادى فيه إعلاميون ومثقفون وكتّاب من كلّ صوب لإشهار وضعيّة القطيعة، تُقابَل أصوات أخرى من خارج روسيا بالاستهجان والاستنكار لمجرّد أنّها اتخذت موقفاً نقدياً من هذه المقاطعة. فالكاتب النّمسوي بيتر هاندكه الحائز «نوبل للآداب» عام 2019، يتعرّض لحملة انتقاد وتشنيع وتنمّر، ومَمّن؟ من أصوات اليسار الديموقراطي في أوروبا، ومن شخصيات كالرّوائي سلمان رُشدي الذي نصّبته الدّوائر الغربية «مثقفاً متمرّداً» طيلة عقود (لو نعود إلى نقد المفكر الراحل هادي العلوي لكتابات ومواقف رُشدي، كم تبدو قزمة كونيةُ الليبرالي وتضامنيّتها أمام الروح النّقدية لهادي العلوي التي عرّت النّزعة الغرباوية المتكئة بنموذج طويل عريض واجهتُه رشدي). أمّا هاندكه فلم ينخرْ، بل اكتفى بعدم التوقيع على عريضة إدانة الغزو التي ضمّت أكثر من ألف صوت لمثقفين وكُتّاب. وهذا الموقف كان كفيلاً ـ بنظر بعضهم ـ لإطلاق الدعوات ضدّه لسحب الجائزة منه.

بهذا تعلنُ الثّقافة الليبرالية عن نفسها بوصفها سلاحاً للحشد في خندق واحد: خندق الحقيقة المُكتفية بذاتها وهي تواجه «توحّش الآخر غير الحضاري وشرّه المطلق»، وبوصفها دعوة للتعقيم أيضاً، مُضحّية بمبدأ «الاختلاف»... تلك الدّعوة الليبرالية التي لا يُقرَع ناقوسُها إلّا وفق مواقيت عواصم الأورمركزيّة فقط. ها هي صحيفة «وول ستريت» تستحضرُ على صفحاتها بياناً في التمييز العرقي: روسيا تعود إلى ماضيها الآسيوي، مُشبّهةً عمليات الرّوس العسكرية بالحنين إلى الغزو الشرقي الذي قاده جنكيز خان في القرون الوسطى! كلّ ما صدرَ من بهرجة وصخب تضامني مع أوكرانيا المغرّرة، لم نسمع منهُ شيئاً أثناء الهَبّة الفلسطينيّة في أيّار (مايو) العام الماضي. نحنُ معنيّون بفلسطين ولا يُمكن تحييدُ قضيّتها عند أي حدث سياسي أو عسكري بهذا الحجم، إذ لم نجد وسيلة واحدة تتبنّى عن فلسطين ما تتبنّاه وتبثّه من طقوس حفلة التضامن القائمة الآن. بل تعدّى ذلك إلى تقييد وحظر تلك الوسائل لأصوات إعلاميّة وفنّية وثّقت جرائم الاحتلال. في الأمس القريب، طردت شبكة DW الألمانية خمسة صحافيين عرب واتّهمتهم بـ «معاداة السّامية» لمجرّد وقوفهم مع فلسطين. المؤسسة ذاتها اليوم، أيّ الخطابات تتبنّى؟ وإلى مَن تنحاز؟ ألسنا معنيّين بفلسطين أكثر بكثير ما تعنيه أو ما يجمع أوكرانيا بألمانيا؟ لذا يُمكن القول إنّ خطاب المقاطعة في النموذج الأوكراني، قُلّب على رأسه، فُرّغ وراح يرطنُ به كلّ من يريد. وهذا يُعيدُنا إلى المربّع الأوّل الذي انطلقنا منه، ويجعلُنا ننظر في حال النّخب العربية من حولنا، وهي تتبنّاه وترفعه وفقَ إرادة المركز، وبالأمس القريب كانت تستفظعه وتعدّه رجساً غير «حضاري»، فقط لأنّه موجّه ضد كيان غاصب بإسرائيل.

تحقّقت نبوءة فيودور دوستويفسكي بأنّ الجهلة لن يتركوه يرتاح حتى وهو ميّت

بيتر هاندكه يتعرّض لحملة تشنيع من اليسار الديموقراطي في أوروبا، ومن شخصيات كالرّوائي سلمان رُشدي الذي نصّبته الدّوائر الغربية «مثقفاً متمرّداً»!

السبت 5 آذار 2022 العدد 4577
الأخبار al-akhbar
www.al-akhbar.com

ملف

الحرب الروسية ـ الأوكرانية... بلطجَة «الغرب»

هادي العلوي

روح أعلى من أبراج مانهاتن... وقدمان في طين الأهوار

أنس الأسعد

يبدو الحديثُ عن المُفكّر العراقي الراحل هادي العلوي (1932- 1998) مَزْجاً جدليّاً فريداً بين الرّوح والمادّة، سواء قارنّاه بتجارب ذلك الجيل من مثقّفي الماركسية العرب، أو نظرنا إليه انطلاقاً من واقعنا الراهن الذي يتكسّر عن روح أفسدتها لوثاتُ الأصوليّات الدينيّة والرّجعية، ومادة لم يتبقّ منها سوى الاستهلاك والترفيه الخبيث. وكي لا يذهبَ توصيف العلوي نحو الأسطرة والمثال، فإنّ ما تحلّى به العلوي من انضباط سلوكي في حياتِه اليوميّة البسيطة، وواقعية فكرِه يختصران الكثير، ويدُلّان على سببِ تلك الفرادة، فرادة الإنسان البسيط والعادي قبل المُثقّف. وعى العلوي الظّرفَ التاريخي في القرن العشرين الذي دفعَ بفكرِ الماديّة التّاريخيّة لتكونَ ذروة ما تتطلّعُ إليه جموعُ المقهورين، وأيقنَ بضرورتها السياسيّة، أي الثورة البلشفية بقيادة لينين 1917، بينما لم يَجِدْ في الوقت عينِه عن استنهاض مشرقيّتِهِ الرّاسخة. لا بل يُمكنُ القول إنّه حمَلها في قلبه عندما كان في العراق، ورفعها عالياً فوق كتفيه في رحلة المنفى الطويل بين لندن وبكين وبيروت ونهاية المطاف في دمشق.

تشرّبَ وجدانُ العلوي فلسفة كارل ماركس أو «الشّيخ الألماني» كما كانَ يُسمّيه، وإرادة لينين في العنف الثوري. بيد أنّ عقلَه ظلّ يستريحُ إلى لزوميّات أبي العلاء المعرّي وفصوص حكم ابن عربي، وقوّة الموقف الاجتماعي لقطب الصّوفية الأعظم عبد القادر الجيلاني الحنبلي. كذلك هو العلوي، صلابتُه تكمنُ في لينِه، ومادّيتُه تنهلُ من روح الشرق بمعناه الممتدّ من بلاد ما بين النّهرين وشبه الجزيرة العربية «مهد اللقاحيّة الأولى» وانتهاءً بالتراث الصّيني الإشراقي عند لاوتسه. إلى هذا المعنى العريق استندَ، وبذرّات العامّة أو الخلق (اقرأ الشّعب) اتّحد، لو استعرنا شيئاً من المعجمِ الصّوفي الأثير في لغتِه وتراكيبه.

لذا عرّف عن نفسه بـ«مرتقى الحضارتين» اللقب الذي تنعقدُ عنده أواصرُ التّاريخ بمفهوم الكونيّة الحقّة. لكنْ قبل الكونيّة، كانت هناك رحلة أشقّ ألا وهي الانتماء، إذ لم يبنِ فيه العلوي على فراغ، إنّما هو مسارٌ من المواجهة ضد السلطة: سلطة المال، وسلطة رجال الدّين وسلطة المثقفين، ومجموع هذه السُّلطات أطلقَ عليها الخساسات الثلاث، ومن يقوم عليها وفي خدمتها هم الأغيار. نلاحظ استعانته في مواجهتها بمعجمٍ نَحتَهُ من حكايات المتصوّفة التي «تُذاقُ ولا تُحكى» في حين كان أقرانُه من المثقفين العرب يُصرُّون على استقدام ماركسية مُترجَمة، فيها الكثير من العلم والثقافة، نعم، لكنّها فقيرة بالرّجاء والانتماء. هذا ما جعلَ منجزَه في قراءة التّراث يتلاقى مع منجز صاحب النّزعات الماديّة في الفلسفة العربية الإسلامية حسين مروّة، والميراث الفكري للشيخ عبدالله العلايلي، بقدر ما تتلاقى ماركسيته مع روح مهدي عامل وتوقها إلى التجديد والتبييئ.

انكبّ العلوي في مرحلة باكرة على التفقُّه بالتّراث الإسلامي، بيد أنّه لم يَنسَقْ مع سحر الكلمة ولا سطوتِها، وآثرَ مقاومةَ آفةِ العِلم الزّائف، مُمَكّناً خطوته في أرضٍ تميدُ بالانقلابات والمؤمرات وسفك الدّماء، وتُسخّر فيها الثقافة والدين في غاية السلطان. وعند مفترق الطّرق ذاك، وجدَ في الماركسيّة النّهجَ العلميّ المنشود، الذي ما إن الترمَه حتّى توسّعتْ مداركُ انتمائه وبدأت لحظة المفاصلة الكونيّة في مسيرتِه. فالكونيّة في فكر العلوي ليستِ التضامن السّاذج مع الرّجل الأبيض، ولا التّسليم المُطلَق بأنّ التراث العربي والإسلامي هو محطّ سخرية وتهكّم ولا خير فيه. من هُنا شرّحَ ما قامَ به سلمان رُشدي، وهل قضيّته قضيّة ضمير وتمرُّد حقاً؟ لو أنّ العلوي ما زال حيّاً ورأى مآلَ رُشدي وهو يُنافِح عن الإمبراطورية بشراسةِ الكاره ذاته، ويجمعُ التوقيعات والعرائض، ما كانَ ليُضيفَ كلمةً واحدة، سوى ابتسامة مُشفقة.

تأسّستِ الكونية عند العلوي على بُنيّة الوعي الخلدوني العلمي للتاريخ، كما على الموقف الوطني الذي يرى في عمر بن الخطاب امتداداً لأنفةِ ملكة تدمر زنوبيا وهي تواجهُ الغزاة. وعلى الطرف النقيض، يرى في سلمان رُشدي ما رآه عبد الرحمن مُنيف بـ«المُنبَتّ» الذي وصفَه الرسول محمد «إنّه ولا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى». عليهِ لم يتماهَ العلوي مع خطاب المركزيات التّاريخيّة ولا الجغرافية، وهذا يفتحُ المجال للنظر في أثره من زاوية سعيديّة، خاصّة لما بينَ الاثنين من موقف تفكيكي للإمبريالية ودورها في الهيمنة على سرديات المغلوبين، وتلزيمها بتواريخ أوروبا الاستعمارية، وفقهِ الزمن من ذلك المنظار فقط.

إذاً، عندما تُدركُ في أيّ زمن تعيش وتنتمي، يسهلُ عليكَ وعيُ ذاتِك، ولا تعودُ بحاجة لمن يشرحُ لكَ أو يُلحِقُكَ به كـ«مُتخلّف» أبدي. تصبحُ قضاياك الحقّة في المقاومة ممزوجة بمعيشك اليومي، لا مؤجّلة ولا مُرحّلة حتّى يُقرّرها عنكَ عدوّك، وإن كانَ هذا الأخير يتسلّطُ بثقافة الأبراج وناطحات السّحاب وأنتَ ليسَ لك من الأرض سوى الطّين. من هنا يستحضرُنا عملان من أعمال العلوي فيهما إشارات لمّاحة لما بين الزمن والمقاومة من علاقة وطيدة، الأوّل هو كتاب «نظرية الحركة الجوهريّة عند المُلّا صدرا الشيرازي». ولو أنّ مضمون هذا الكتاب ينوسُ بين مفاهيم الفيزياء والفلسفة (هُناك طُرفة كان العلوي يقولها عن هذا الكتاب بأنّ كلّ كتبه كانت ممنوعة في العراق، إلا هذا الكتاب، فكان مسموحاً به لصعوبة موضوعه وتعقيده)، بيد أنّ التفاتَ العلوي لشخصيّة الفيلسوف صدر الدين الشيرازي يأتي بوصفهِ مُفتتحاً لزمن النّهضة الفلسفية الجديدة، قبل لايبنز وسبينوزا، وقبل غزو نابليون الدموي لمصر. أمّا الكتاب الثاني فهو «مدارات صوفيّة». وحسبنا ما تشفّ به كلمة مدار من إحالةٍ أبديّةٍ إلى التّاريخ المُتقدّم، هذا إذا لم ننفتح على ما فيه من مسردٍ حكائي مقاوم من التراث العربي والإسلامي. الحكايات التي تُذاق ولا تُروَى، الحكايات التي تساءل غرامشي يوماً «مَنْ يرويها؟ إذا كان المنتصر هو مَن يكتبُ التاريخ؟»... فهل من إجابة ألطف للردّ على غرامشي بالقول: يرويها هادي العلوي.

شيبرد فيري ـ «جزمة الديكتاتور» (2008)

> الكونيّة ليست التضامن السّاذج مع الرّجل الأبيض، ولا التّسليم بأنّ التراث الإسلامي محطّ سخرية وتهكّم
>
> لو أنّه ما زال حيّاً ورأى رشدي يُنافِح عن الإمبراطورية، ما كانَ ليُضيفَ كلمة سوى ابتسامة مُشفقة

Samedi 5 Mars 2022 no9 1ère année
السبت 5 آذار 2022 العدد التاسع السنة الأولى

القوس

www.alqaous.com

12 صفحة

نشرة أسبوعية مخصّصة للعدل والإنصاف

مع صدور هذا العدد انطلق الموقع الإلكتروني للقوس على الرابط التالي: www.alqaous.com

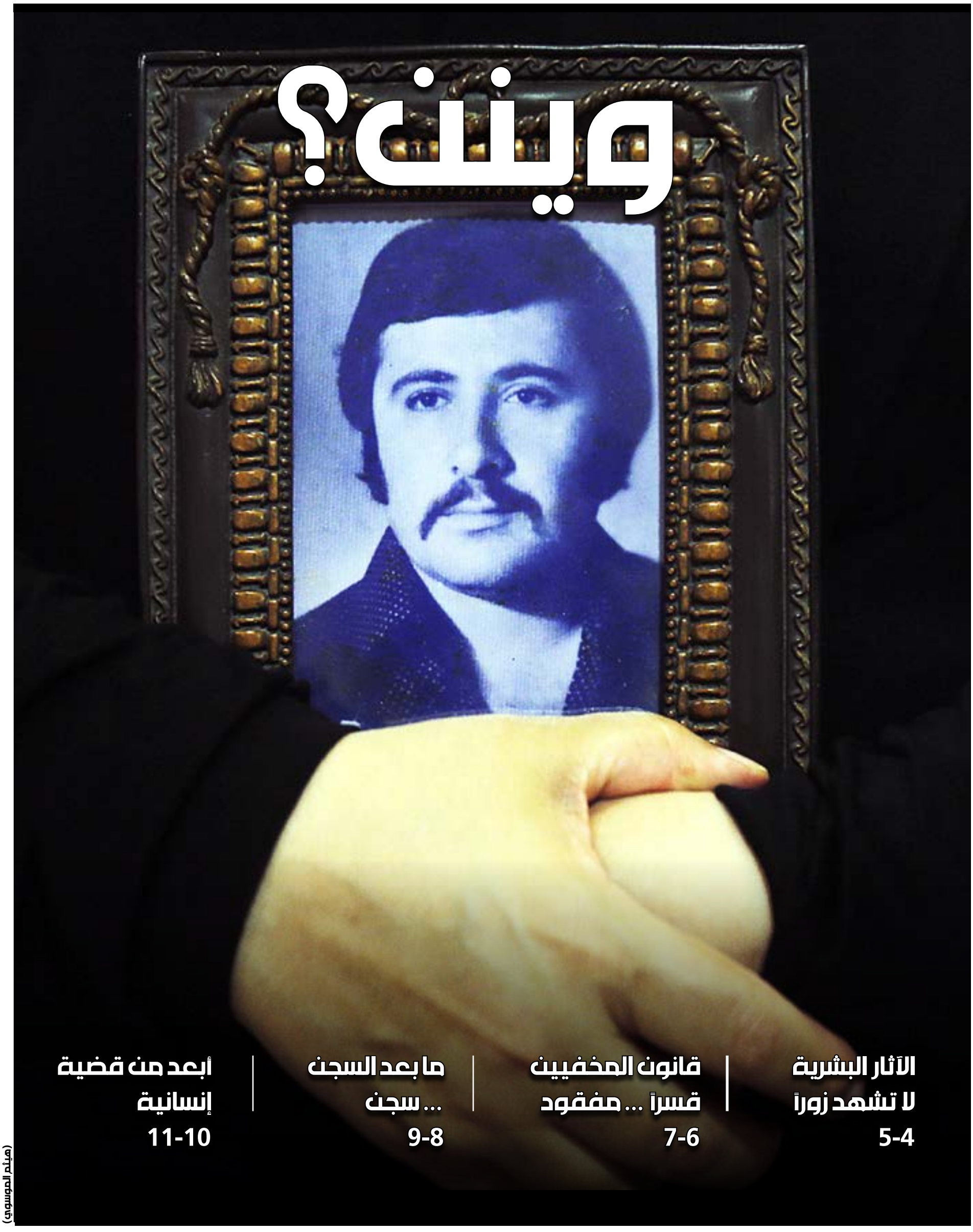

(هيثم العوسوي)

الآثار البشرية لا تشهد زوراً 5-4
قانون المخفيين قسراً ... مفقود 7-6
ما بعد السجن ... سجن 9-8
أبعد من قضية إنسانية 11-10

◆ في العمق

القانون 105

■ لجميع المخفيّين والمفقودين من المدنيين والعسكريين ولافراد عائلاتهم:
- الحق في المعرفة.
- الحق في المساواة.
- الحق في الإطّلاع في مسار البحث.
- الحق في الحصول على تعويضات.

موضوع مفقودي الحرب الاهلية اللبنانية، وضحايا الإخفاء القسري، عندما كانت الفوضى الشاملة تسود البلاد، مادة صحفية مهمة حتى ولو لم تكن «ترند»، قضية إنسانية هي جرحنا، هي نحن، هي ما آلت إليه احوالنا؛ وجهنا الحقيقي، ومرآتنا التي تحدق فينا. حين صدر قانون العفو العام عن جميع جرائم الحرب الاهلية اللبنانية، استثنى القانون الإخفاء القسري. كان ذلك دليلاً واضحاً على ان ملف الكشف عن مصير آلاف المفقودين سيطول. تمتّع «امراء الحرب» بعفو ذاتي، وتُرك الناس لآلامهم. ولذلك، لم يكن غريباً ان تتعثّر عملية البحث عن مصير آلاف المفقودين وان لا تقوم الدولة بواجباتها بشكل كامل. فالدول والمجتمعات لا تتداوى عادةً بالتناسي. كيف يمكن ان يمرّ الزمن على جريمة متمادية تتكرّر كلما صنعت زوجة مكسورة القلب فنجاني قهوة صباحاً وانتظرت ان يدق الباب؟

المفقودون لا يمرّ عليهم الزمن

■ إقبال زين

بعد انجلاء الحروب ومرحلة الاقتتال الداخلي يُفترض أن تُنشأ هيئات تُسمّى لِجان «الحقيقة والمصالحة» كما حدث في جنوب أفريقيا مثلاً. تُكلّف هذه اللجان بدراسة الانتهاكات الانسانية التي حصلت في النزاعات الماضية، من دون أن يكون هناك رغبة في الصدام، لأن الهدف الأساسي «معرفة ما جرى» كيلا يعاد ويكرر. فالمصالحة تعني أولاً أن يخضع مرتكب العنف إلى جلسة الاستماع التي يديرها المجتمع المحلّي. وبحسب المركز الدولي للعدالة الانتقالية، سمحت تلك الإجراءات للضحايا بأن يوجّهوا لومهم مباشرة إلى المرتكب، إضافة إلى السماح للمرتكب نفسه بأن يطلب المغفرة من المجتمع المحلّي. ينص مبدأ العدالة الانتقالية على «الحق في الحقيقة»، أي حق معرفة الأهل بمصير مفقوديهم، وبظروف اختفائهم. لكن بحسب تقرير نشرته الأمم المتحدة، غالباً ما تُستعمَل المعلومات المرتبطة بالأشخاص المفقودين «ورقة ضغط» في المفاوضات السياسية، وتُستخدم الإحصائيات الدقيقة للمفقودين في الجدل السياسي. ويشير التقرير إلى أن القادة الذين يلعبون دوراً رئيسياً في إدامة النزاع «غالباً ما يظلون شخصيات بارزة في عملية السلام اللاحقة»، ما يصعّب حل قضايا المفقودين. أما في لبنان، سنة 1995، فقد قامت الحكومة بخطوة غير مسبوقة، خفضت على ضوئها مدة الاختفاء لإعلان الوفاة إلى 4 سنوات. سمح القانون رقم (443) لأهالي المفقودين بأن يحرروا شهادة وفاة بحق غائبهم على نية تخفيف الآلام النفسية لأهالي الضحايا، وإيجاد حل لمشكلات الأحوال الشخصية (كقضايا حصر الارث مثلاً)، لكن لجنة أهالي المفقودين رفضته، إذ سيُفقدهم الأمل بعودة مفقوديهم، ولم تكن الدولة وقتها قد اعترفت بعد بالحق في الحقيقة الذي تم لاحقاً عبر مجلس شورى الدولة سنة 2014.

اطر التعامل مع القضية

وضعت منظمة الأمم المتحدة تقريراً موسعاً حول أفضل الممارسات الدولية في مسالة المفقودين، وهو شرح تفصيلي للآليات والأطر التي يجب التعامل مع الملف فيها على كافة الصعد الأمنية والاجتماعية والقانونية. صحيح أن الملف صعب، لكن ليس مستحيلاً على الحكومة أن تحقق تقدماً فيه لوشاءت. ففي يوغوسلافيا مثلاً يوجد 40,000 مفقود كانوا ضحية النزاعات المسلحة بين عامي 1991-1995 وقد تم تحديد 70% من هويتهم. وبحسب التقرير، على الدولة أن تراعي الآتي:

1- التوقيت

يجب أن تنشأ آليات استجلاء مصير المفقودين بعد انتهاء النزاع بين الأطراف مباشرة، ويمكن أن تُدرج هذه العمليات في نفس خانة التسويات مثل اتفاقات وقف النار والسلام مثلاً. وكلما تأخرت الآلية، ازدادت صعوبة معرفة مصير المفقودين

2- اللجان ذات الصلاحيات

يجب أن يكون للمكلفين صلاحيات تمكّنهم من الوصول السهل إلى المعلومات كمواقع القبور ورفات الموتى، إضافة إلى ضرورة صياغة قانون داخلي ينظم عمل هذه اللجان ويتيح بيئة لتبادل المعلومات التي يجب أن تراعى السرية فيها.

3- القانون

على الدولة أن تمتثل إلى إحدى الطرق التي يروج لها القانون النموذجي الذي وضعته لجنة الصليب الأحمر الدولي.

4- الاختصاصيون

يجب أن يكون هناك تعاون مع فريق من الاختصاصيين الأنتروبولوجيين في الطب الشرعي

5- المعوقات

إذا كان هناك معوقات نتيجة عدم تعاون أطراف النزاع المسلح، يمكن النظر في إنشاء مفوضية دولية.

(هيثم الموسوي)

تفاوت في تقدير أعداد المفقودين الحقيقية بين 2,046 و17,000 بسبب عدم دقة المنهجية

لا خريطة رسمية تكشف عن مواقع المقابر الجماعية

هناك تفاوت في تقدير اعداد المفقودين الحقيقية. فبحسب لجنة اهالي المخطوفين والمفقودين يُقدّر العدد بـ 17,000 مفقود. اما بحسب التقرير الذي نشرته لجنة التحقيق الاولى فتقدر اعداد المفقودين بـ 2,046 مفقود فقط. علماً ان الإحصائيات لم تُجمع بطريقة منهجية دقيقة. فتقرير اللجنة استند إلى التبليغات التي كانت تصلهم من اهالي الضحايا، الذين بطبيعة الحال، لم يبلّغوا جميعاً، إضافة إلى وجود جنسيات اجنبية عدة من بين المفقودين، خصوصاً فلسطينيين وسوريين.

لا لطيّ الصفحة

في مقابلة أجرتها «القوس» مع النّاشطة الحقوقية رجاء بشارة، حمَلت بشارة وسائل الإعلام اللبنانية إلى جانب السياسيين جزءاً كبيراً من ذنب «قلب الصفحة»، وعدم تسليط الضوء على آلاف القصص المعلقة بذريعة عدم الدخول في الفتن. وتسرد حادثة حصلت معها عندما شاركت في أحد النشاطات مع لجنة أهالي المخطوفين: «أذكر وقتها أننا قمنا بحاجز محبة، كنا نوزع الورود على الناس، لكن الأغلبية كانت لا تلتفت إلينا أو ترمينا بالورود التي نقدمها لها». تضيف بشارة أن المشكلة تكمن في أن هذه القضية لم تتحول إلى قضية رأي عام بعد، لأنه لا يوجد من يسمع. ربما من الطبيعي أن يتقاعس من يتولى مناصب الدولة، لاسيما إذا كان شريكاً في الجرائم، عن البحث عن دليل إدانته. لكن كيف سيتم الضغط على المعنيين إذا لم تكسب هذه القضية التأييد الشعبي الذي تلعب في تشكيله وسائل الاعلام دوراً كبيراً؟ وكيف سيحمي الجيل الجديد نفسه من الوقوع في خطيئة آبائه إذا لم يسمع ويشاهد ويلمس الألم ويعرف الحقيقة؟ في هذا الاطار تقوم الدول بعدد من الأنشطة لاحتضان الذكرى المؤلمة التي خلفتها الحرب كما حصل في متحف تشيلي مثلاً (عرض الديكتاتورية العسكرية وتوثيقها)، أو الموقع التذكاري لانتهاكات الحروب في تلة الدستور في جوهانسبورغ، إضافة إلى تنظيم نشاطات تظاهرية (التظاهرات السنوية في 24 آذار في الأرجنتين). كل هذا ينصب في ضوء حفظ وتوثيق الذاكرة الشعبية لاسيما الذاكرة الشفهية التي تشكل جزءاً لا يتجزأ من تراث وذاكرة الأرض.

(هيثم الموسوي)

الصليب الأحمر يحفظ العيّنات البيولوجية

حُمّلت اللجنة الدولية للصليب الأحمر مسؤولية جمع عينات بيولوجية مرجعية من أهالي المفقودين منذ سنة 2012. وبحسب اللجنة، جُمع حتى الآن أكثر من 2000 عينة بيولوجية مرجعية ومجموعة من بيانات ما قبل الاختفاء تعود إلى 3000 شخص مفقود. قالت اللجنة لـ «القوس» إنها «الجهة الوحيدة التي تخزن البيانات في هذه المرحلة»، لكنها تأمل أن يقود تشكيل الهيئة الوطنية وإقرارقانون (105) إلى تسليم «محتمل» للبيانات. في لبنان، يشار إلى 430 موقعاً للمقابر الجماعية، ولكن لا خريطة رسمية تكشف عن جغرافيتها حتى اليوم. أما في الوسائل الإعلامية، وبحسب تقرير لجنة التحقيقات الأولى، يشارإلى عدد من المقابر موزع على الشكل الآتي: طرابلس، جبيل- البحر، الأشرفية، بعبدا، حرش بيروت، طريق المطار، وزارة الدفاع، البقاع، الجية، صيدا، جزين، كفرحونة، حاصبيا، النبطية، شبعا، مرجعيون وغيرها.

الهيئة الوطنية للمفقودين والمخفيين قسراً «موعودون بتخصيص موازنة»

كُلّفت «الهيئة الوطنية للبحث عن المفقودين والمخفيين قسراً» بحسب المادة (26) من قانون (105) بجمع المعلومات. إلى اين وصلت بعد سنتين على توليها؟ حملت «القوس» هذا السؤال إلى زياد عاشور، العضو الاكاديمي في الهيئة الذي اشار إلى ان الهيئة تتعامل مبدئياً مع الصليب الاحمر الدولي ومع جمعية «نعمل من اجل المفقودين» لجمع المعلومات. لكنها حتى الآن «لا تمتلك معلومات عن المفقودين»، وما زالت تخضع لـ «اختبار ثقة» من الجهات التي تمتلك البيانات، خصوصاً أن الهيئة الوطنية ما تزال تعاني من الضغوطات السياسية التي تحاول تحييز القضية إلى جهة وزجها في صراع سياسي. ويعلق عاشور بانه لا يمكن وصف الوضع بالوردي. فاعضاء اللجنة لم يتلقوا حتى الآن بدلات نقل، ولا يوجد لديهم مقر رسمي، لكنه متفائل بالتوجه الحكومي لمنح مركز للهيئة ودفع بدلات مالية خصوصاً انهم «موعودون بتخصيص الدولة شيئاً من موازنتها لهم»، وبتوجهها لتعيين اربعة اعضاء جدد بدل الذين استقالوا من الهيئة. اما حول عملهم الحالي في ظل عدم امتلاك البيانات، فاشار إلى انهم «مشغولون بوضع انظمة داخلية للهيئة» حتى تستطيع اللجنة التي تتولى الإدارة بعدهم الانطلاق.

◆ المختبر الجنائي

في عملية البحث عن الحقيقة المفقودة والمخفيّة قسراً، تكثُر العوائق في لبنان. فبعد طول انتظار صدر القانون 105/2018 الّذي ينصّ على إنشاء هيئة وطنية للمفقودين والمخفيين قسراً. إلّا ان القانون وحده لا يكفي، خصوصاً في ظلّ غياب الموارد الماديّة والتقنيّة والبشريّة اللازمة. فلا بد من ايجاد الحلول المناسبة للكشف عن مصير الآلاف أحياءً كانوا أم أمواتاً. بالاعتماد على الانثروبولوجيا الشرعية يمكننا كشف أسرار العظام والرّفات المتحلّلة التي ستخبرنا عن هوية وحياة الشخص واسباب وفاته وستلعب دورا أساسياً في حلّ جرائم الماضي والحاضر

البحث عن الحقيقة من تحت الارض

الآثار البشرية لا تشهد زوراً

■ ردينة الزعبي

يتفق الجميع على ضرورة انهاء ملف المفقودين والمخفيين قسراً بشكل جدي وموضوعي لضمان حقوق العائلات في الحقيقة والعدالة، الّا ان هناك صعوبة خاصة في التحقيقات التي تتضمن رفات وبقايا بشريّة، فلا يمكن أحياناً الاستعانة بالعائلة أو الأقارب للتعرف على الجثة، ولا يمكن الاعتماد فقط على الطب الشرعي، كما ويستحيل، في كثير من الأحيان، أخذ بصمات الشخص أو عيّنة من الحمض النووي للتمكن على الأقل من حلّ جزء بسيط من هذه الأحجية. لذلك، فإن تحديد مصير المفقودين يعتمد بشكل كبير على توفر الكفاءة العلمية اللازمة لا سيما المتخصصة بالأنثروبولوجيا، بالإضافة الى وجوب عوامل أخرى أساسية كالإرادة السياسية وتوفر الموارد المادية.

يأتي دور الأنثروبولوجيا الشرعية (Forensic Anthropology) لاستخلاص أدلة من العظام والرفات البشرية، فيقوم الخبراء بملاحظة وتوثيق كل ما يتعلق بالمكان، ووضعية الرفات، وأية أدلة يمكن أن تساعد في تحديد هوية الضحية أو تقديم تفسير محتمل لوجودها في هذا المكان. وبعد تحليل ودراسة الأدلة والعيّنات، يقوم الخبراء بدرس فرضيّة احتمال وجود أي خلفية جرميّة. ويبدأ البحث في ملفات الجرائم القديمة وتقارير الأشخاص المفقودين لمحاولة العثور على أي تطابق في مواصفات الأشخاص.

خبراء الأنثروبولوجيا هم اصحاب الاختصاص

في لبنان لا يتمّ الاعتماد على خبراء الأنثروبولوجيا الشرعيّة في التحقيقات التي تتضمن عظام وبقايا بشرية. فيكون الارتكاز عادةً على الطبيب الشرعي وفحص الحمض النووي لتحديد هوية الشّخص وسبب الوفاة. إلّا انه عند

> **المفترض توفير الحماية لمواقع المقابر الجماعية والمدافن المحتملة والعقارات المشتبه بها لحماية البقايا البشرية**

التعامل مع جثة في مرحلة متقدّمة من التحلّل لا تسمح بتشريحها، أو هيكل عظمي، يصبح من الصّعب على الطبّ الشرعي أن يقدّم معطيات كافيّة ودقيقة بخصوص الوفاة أو صفات الفرد البيولوجية.

أما بالنسبة للحمض النووي، فمبدأ الفحص قائم على مقارنة النتائج مع عيّنة من الشخص ذاته أو فرد من عائلته. وفي حال عدم توفر الإثنين، فما نفعه اذاً؟ وماذا لو لم تكن هذه العيّنة اصلاً بشرية؟ يكون الفارق بين عظام الإنسان والحيوان واضح في بعض الأحيان، حتى بالنسبة لغير المتخصصين. ومع ذلك، يمكن أن تبدو بعضها مشابهة تماماً لعظام الإنسان. لذلك يضيع التحقيق، في الكثير من الأحيان، بين محاولات غير مجديّة واستنتاجات ناقصة.

نحن بحاجة إلى المزيد من الخبراء في علم العظام والأنثروبولوجيا، فوجودهم ضروري وليس فقط لحلّ الجرائم. فمثلاً بعد انفجار مرفأ بيروت (4 آب 2020)، كانت مساهمتهم أساسيّة لتحديد مكان الضحايا وللتعرف عليهم. لذلك يفترض تشجيع المزيد من الأشخاص على متابعة هذا الإختصاص مع توفير البيئة الأكاديمية المواكبة للتطوّر العلمي في هذا المجال. كما يفترض الاعتماد عليهم كخبراء محلّفين في هكذا نوع من القضايا وليس فقط على الطبيب الشرعي. بالإضافة إلى ذلك، لا بد من استحداث قسم في المباحث العلميّة وتجهيز المختبرات بالمعدات والتقنيات المتطورة التي تُساعد على معاينة وتحليل الرفات البشرية والعظام.

وما بقي اعظم

تقاوم العظام والأسنان درجات الحرارة المرتفعة وهي من بين آخر الأعضاء التي تتحلل بعد الموت. بحسب جودة هذه العينات وعددها، يمكن أن تساعد الخبير على إنشاء ملف بيولوجي للمتوفي، الذي يشمل الجنس، العمر، الطول، العرق، طبيعة الوظيفة، وبعض الأمراض. لبناء هذا الملف يعتمد الخبراء على أخذ مقاييس العظام وتحديد مرحلة نموها ومقارنة صفاتها المورفولوجية والفيزيائية مع أخذ عينات لدراسة تكوينها واستخراج الحمض النووي.

يمكن حتى تمييز أنواع الصدمات والكسور التي تعرّضت لها العظام مع تشكيل فكرة عن طبيعتها، سببها وزمان حصولها.

فهل كان السبب سكين أم مطرقة أو مسدس؟ وهل حصلت منذ زمن أو عند وقت الوفاة او بعد الوفاة بسبب عوامل خارجية أو بيئية أو بسبب اعمال التنقيب؟

ومن الجدير بالذكر أن هذا الاختصاص لا يُقدم استنتاجات حاسمة، فلا يمكن القول إن "هذه العظمة تعود لرجل أفريقي عمره 18 عاماً طوله 180 سم"، هذه الأمور تحدث في الأفلام فقط! أما على أرض الواقع فيكون الاستنتاج تقريبي تقديري هدفه استبعاد بعض الخيارات لتضييق نطاق البحث.

نبش القبور

لا تُعنى الأنثروبولوجيا بحلّ الجرائم فقط بل لديها دور أساسي في تحديد أماكن وهويّة الأفراد في حالات الإبادة والمقابر الجماعيّة والتفجيرات والكوارث. ويعتمد نجاحها بشكل أساسي على إجراء المزيد من الأبحاث في مناطق مختلفة والتعمّق بدراسة الحضارات والأعراق المختلفة. ولكن عملية "نبش القبور" تواجه عالمياً الكثير من التحدّيات الدينيّة والإنسانيّة والاجتماعية والسياسية.

يعد عقود من النضال، صدر القانون 2018/105 والذي يضم عدّة نقاط أبرزها جمع المعلومات حول المفقودين والمخفيين قسراً واتخاذ خطوات عمليّة لتحديد أماكن المقابر الجماعية وهوية الضحايا. لكن تحقيق العدالة، لا يزال يتطلّب الكثير من العمل على المستويات القانونية والاجتماعية واللوجستية والتقنية. لم توضع الخطة الاصلاحية التي ستُعتمد لمعالجة الضرر الناتج عن عملية الحفر والذي قد يطال الممتلكات العامة منها والخاصة كما البنى التحتية. فمن المفروض اذاً تحديد هذه المعايير وتشكيل لجنة متخصصة لمراقبة مدى الالتزام بهذه المعايير، وآلية محاسبة، ووضع خطط لمعالجة الأضرار الناتجة والتعويض عن الخسائر. كما من المفترض توفير الحماية لمواقع المقابر الجماعية والمدافن المُحتملة والعقارات المشتبه بها، لحماية البقايا البشرية.

تتطلّب هذه العمليّات المتشعبة توفر موارد مالية وبشرية وإدارية مهمة بما في ذلك مرافق عمل مجهزة ومناسبة، خاصة لأن نطاق البحث يشمل لبنان كله وعدد المفقودين والمخفيين قسراً يتخطى الآلاف بحسب التقديرات. لذلك يجب وضع الميزانية المناسبة لدعم هذه العملية وتوفير المختبرات والتجهيزات المطلوبة لتحديد اماكن المقابر الجماعية والمعاينة الرفات البشرية.

ومن المفترض توفير عدد كاف من الخبراء، من مختلف المجالات مثل علماء الآثار والتّنقيب والأدلة الجنائية والأنثروبولوجيا والجيولوجيا، وتدريب الموجود منهم وخصوصاً خبراء الأدلة الجنائية والكشف الحسي والضابطة العدلية وقوى الأمن الداخلي على التعامل مع هذا النوع من القضايا. ومن المهم جداً تشجيع الأفراد على دراسة الاختصاصات التي نفتقر لها في لبنان مثل الأنثروبولوجيا وعلم الآثار والطب الشرعي، فلا يمكننا الاعتماد دائماً على الخبرات الاجنبية.

تقنيات البحث عن المدافن

لإخفاء جريمتهم، يعمدُ القتلة أحياناً على دفن ضحاياهم ولأنهم قد لا يمتلكون الوقت للتخطيط للدفن، عادةً ما تكون الحفرة غير عميقة وشكلها غير منتظم وأعماقها غير متساوية، فلا تشبه المقابر العادية.

تمّ إحراز تقدم علميّ كبير في التقنيات والمنهجيات المعتمدة للبحث عن الرفات البشرية والمقابر المخفية، فمن أجل تحديد مواقع مُحتملة لمقابر، يمكن اليوم تحليل المنطقة باستخدام بيانات الأقمار الصناعية والرادارات التي تساعد على اكتشاف المناطق حيث تختلف تركيبة وطبقات التربة. بعد ذلك، يقوم الخبراء، في استكشاف المنطقة من خلال البحث عن أدلّة مرئيّة مثل الاختلاف في الغطاء النباتي ولون التربة. ويتمّ تركيز البحث في مواقع معيّنة ثمّ تبدأ عملية الحفر واستخراج البقايا البشرية بطريقة تحفظ كلّ الأدلة. وبحسب المعايير المهنية، من المفترض توثيق وتصوير كل ما يتعلق بالمكان والرّفات ووضعيتها والأساليب المعتمدة لاستخراجها.

الانثروبولوجيا الشرعية

الأنثروبولوجيا الشرعيّة هي تخصص الأنثروبولوجيا الفيزيائية التي تُعنى بدراسة الرّفات البشرية.

يساعد علماء الانثروبولوجيا على التعرف على الأشخاص المتوفين الذين تحلّلت اجسادهم أو أصيبت بحروق شديدة أو تشوهات أو تعرضت للغرق. ويتمّ ذلك من خلال تحديد العمر والجنس والطول والعرق والسّمات الفريدة للمتوفي من رفاتهم. وبعد معاينة التّشوهات الهيكليّة يمكن أن يُحدِّدوا، بشكل مُحتمل، سبب الوفاة والإصابات السابقة للوفاة كالعظام المكسورة أو الإجراءات الطبيّة التي تعرّضت لها الضحيّة.

يجيب هذا الاختصاص على عدة تساؤلات أساسيّة تفيد التحقيق الجنائي. ويساعد على تحديد موقع الجثث والرّفات وتصنيفها بين بشريّة وحيوانيّة. ويساهم في تحديد السّمات البيولوجية للفرد وتقدير الوقت منذ الوفاة. وبالتعاون مع الأطباء الشرعيين وأطباء الأسنان الشرعيين والمحققين وخبراء الأدلة الجنائية يصبح من الممكن تحديد هوية الفرد والظروف المحيطة بالوفاة.

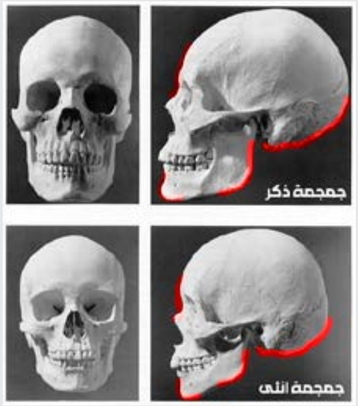

◆ أحدث تقنيات التحقيق

تحديد الهوية

باستخدام برنامج تصوير ثلاثي الأبعاد يمكن إعادة بناء الوجه من بقايا الهيكل العظمي. لا تتطلّب هذه التقنية الجديدة التعامل مع العظام بشكل يدويّ، كما التقنيات القديمة. بل يمكن بناء الوجه بشكل افتراضيّ بمساعدة الكمبيوتر. مما يُساهم في الحفاظ على العظام الهشّة أو التالفة. الطريقة سريعة وفعّالة. تستخدم الجمجمة والعظام كقالب وتعمل على دمج علم العظام والتكنولوجيا. وتساهم هذه العمليّة في تسهيل عمليات التحقيق وتحديد هوية الشخص من خلال توفير صورة تقريبيّة لملامح الوجه.

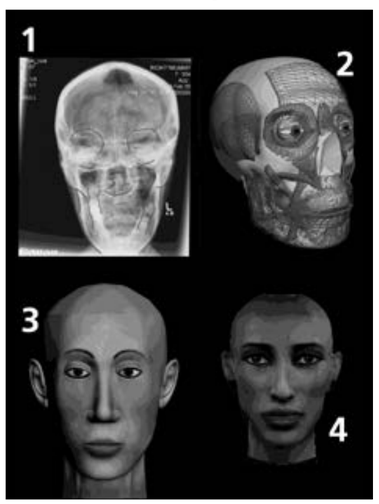

◆ مرافعة

منذ إنشاء الجمهورية اللبنانية كانت قضية المخفيين قسراً او المفقودين قضية ثانوية إلى ان وقعت الحرب اللبنانية في العام 1975 حين اصبح عدد المفقودين يستحق تشريعاً خاصاً لمعالجة هذه المسالة من الناحية القانونية من دون مقاربات سياسية او طائفية. وقّع لبنان متاخراً في العام 1997 على البروتوكولين الإضافيين في اتفاقيات جنيف لحماية ضحايا الحرب، ثم اصدر قانون المفقودين والمخفيين قسراً بعد مرور 28 عاماً على انتهاء الحرب، وشكّلت "الهيئة الوطنية للمفقودين والمخفيين قسراً" في العام 2020 بعد انتهاء الحرب بـ30 عاماً

(مروان طحطح)

قانون المخفيين قسراً ... مفقود؟

■ صادق علوية

في العام 1983 قررت الحكومة إصدار مرسوم اشتراعي لتعديل أحكام تاليف لجان تخمين منطقة الوسط التجاري في مدينة بيروت بقصد تعميره. حينذاك فقط قررت التفكير في المفقودين، فقط لجهة كيفية إبلاغهم بقرارات التخمين الصادرة عن لجان التخمين، فقررت بموجب المادة 4 من المرسوم الاشتراعي 83/18 بان التبليغ يتم بواسطة النشر في صحيفتين يوميتين، وتنشر بياناً بذلك يلصق على باب وزارتي الداخلية والأشغال العامة والنقل على أن تسري وسيلة التبليغ هذه بحق المفقودين والغائبين.

في العام 1995 عالج مجلس النواب الأصول الواجب اتباعها لإثبات وفاة المفقودين بموجب القانون رقم 434 تاريخ 1995/5/15، عبر تعديل قانون تنظيم القضاء الشرعي السني والجعفري وقانون الإرث لغير المحمديين، إنْ لجهة الاختصاص القضائي للنظر بدعاوى الحكم بوفاة الغائب، وإنْ لجهة الاحكام الشرعية أو القانونية الوضعية التي تحكم مسالة المفقود لدى الطوائف الإسلامية وغير المحمدية، وكذلك لجهة مدة الغيبة التي يحكم بانقضائها بوفاة الغائب، بتحديدها بأربعة أعوام هجرية على الأقل (للطوائف المحمدية) وأربع سنوات ميلادية (للطوائف غير المحمدية).

كما عالج القانون مسالة فقدان موظفي الدولة، حيث نص على انه إذا فقد الموظف وانقطعت اخباره واختفت آثاره أثناء الخدمة، صُرفت رواتبه لأصحاب الاستحقاق المنصوص عليهم في قانون التقاعد حتى أقرب التاريخين: بلوغه سن التقاعد أو انقضاء عشر سنوات على فقدانه المقرر قضائياً من قبل القضاء المختص.

ولكن لم تكن المقاربة القانونية تعالج مسالة العثور على المفقودين والمخفيين، بل مجرد كيفية تسيير أمور المفقودين قانونياً ومادياً تجاه ذويهم.

في القانون الدولي

في العام 1997 انضم لبنان إلى اتفاقية البروتوكولين الإضافيين إلى اتفاقيات جنيف لحماية ضحايا الحرب بموجب القانون 97/613 وتنص المادة 32 منها على إرساء المبدأ العام بان حق كل أسرة في معرفة مصير أفرادها هو الحافز الأساسي لنشاط كل من الأطراف السامية المتعاقدة وأطراف النزاع والمنظمات الإنسانية الدولية الوارد ذكرها في الاتفاقيات. وتلزم الاتفاقية عينها كل طرف في نزاع، تسهيلاً لجمع المعلومات حول المفقودين وتسجيل المعلومات اللازمة عن الأشخاص الذين اعتقلوا أو سجنوا أو ظلوا لأي سبب آخر في الأسر مدة تتجاوز الأسبوعين نتيجة للأعمال العدائية أو الاحتلال، أو عن أولئك الذين توفوا خلال فترة اعتقالهم، وكذلك بتسهيل الحصول على المعلومات على أوسع نطاق ممكن عن هؤلاء الأشخاص وإجراء البحث عنهم عند الاقتضاء وتسجيل المعلومات المتعلقة بهم إذا كانوا قد توفوا في ظروف أخرى نتيجة للأعمال العدائية أو الاحتلال. ويتعهد الموقعون على الاتفاقية أن يسعى كل طرف أطراف النزاع للوصول إلى اتفاق حول ترتيبات تتيح لفرق أن تبحث عن الموتى وتحدد هوياتهم وتلتقط جثثهم من مناطق القتال، بما في ذلك الترتيبات التي تتيح لمثل هذه الفرق، إذا سنحت المناسبة، أن تصطحب عاملين من لدن الخصم أثناء هذه المهام في مناطق يسيطر عليها الخصم ويتمتع أفراد هذه الفرق بالاحترام والحماية أثناء تفرغهم لأداء هذه المهام دون غيرها.

> لم تعالج المقاربة القانونية مسالة العثور على المفقودين والمخفيين بل اقتصرت على تسيير امور المفقودين قانونياً ومادياً تجاه ذويهم

اربع مبادئ اساسية

في العام 2018 أصدر مجلس النواب أول تشريع قانوني جدي لمعالجة هذه المسالة من الناحية التشريعية عبر قانون المفقودين والمخفيين قسراً (القانون رقم 105 تاريخ 2018/11/30) وتضمّن مبادئ أربعة:

1- حق المعرفة لأفراد الأسر والمقربين في معرفة مصير أفرادها وذويها المفقودين أو المخفيين قسراً وأمكنة وجودهم أو مكان احتجازهم أو اختطافهم، وفي معرفة مكان وجود الرفات واستلامها. يشمل هذا الحق أيضاً، تحديد مواقع أماكن الدفن وجمع الرفات ونبشها وإجراء الكشف عليها والتعرّف إلى هوياتها.

2- حق الاطلاع: لأفراد الأسر، وفي حال غيابهم، للمقرّبين الحق في الاطلاع على المعلومات المتصلة بتقفي آثار المفقودين والمخفيين قسراً، والتحقيقات غير الخاضعة للسرية قانوناً، والتي من شأنها تحديد مصيره، وذلك ضمن الآليات المحددة وفق أحكام هذا القانون.

3-الحق بالتعويض: للمفقودين والمخفيين قسراً وأفراد أسرهم الحق بالتعويضات المعنوية والمادية المناسبة التي تحدد بمرسوم يتخذ في مجلس الوزراء بناءً على اقتراح وزيري المالية والعدل المُسند إلى توصية الهيئة، وذلك خلال سنة من نفاذ هذا القانون، ولا يؤثر هذا التعويض على حق المفقودين والمخفيين قسراً وافراد أسرهم بالمطالبة بتعويضات عن العطل والضرر وفق أحكام القانون العام. ولكن هذا المرسوم لم يصدر بعد رغم مرور عامين على تشكيل الهيئة.

4-موجب الإفصاح عن معلومات: على كل من يمتلك معلومات متصلة بتقفي الآثار بمن فيهم الأشخاص والهيئات والمؤسسات والسلطات والإدارات الإدلاء بها عند الاستماع إليهم من قبل الهيئة أو من قبل اللجنة الخاصة بنبش أماكن الدفن، ولا يحق لأي كان التذرع بالسرية الوظيفية.

واعتبر القانون أن التعرّف على الرفات البشرية هو التحديد القانوني للهوية استناداً إلى عملية علمية تلائم المعلومات حول الأشخاص المفقودين والمخفيين قسراً مع الرفات البشرية وفق الممارسات الجنائية الفضلى، ومعايير حماية البيانات المتوافق عليها دولياً. أما في حال ظهوره على قيد الحياة فتتم عملية تحديد الهوية طبقاً للقوانين المرعية الإجراء.

الهيئة الوطنية

انشأ القانون 105/2018 الهيئة الوطنية للمفقودين والمخفيين قسرا وهي مؤلفة من عشرة اعضاء، يعينون جميعا بمرسوم يتخذ في مجلس الوزراء بأغلبية الثلثين لمدة خمس سنوات غير قابلة للتجديد، بناء على اقتراح وزير العدل كما يلي:

- قاضيان سابقان في منصب الشرف.
- خبيران في القانون الجزائي او قانون حقوق الإنسان او القانون العام.
- استاذ جامعي مختص في حقوق الإنسان او الحريات العامة.
- طبيب شرعي.
- عضوان من الناشطين في حقوق الإنسان.
- عضوان من الناشطين في الجمعيات الممثلة لذوي المفقودين والمخفيين قسرا.

على ان يراعى في اختيار الاعضاء تمثيل الجنسين.

واجب التعاون

ينص القانون على موجب التبادل والتعاون بين السلطات المختصة بتبادل المعلومات المتعلقة بعملية البحث عن المفقودين او المخفيين قسرا، وبتحديد مصيرهم وهويتهم وتقديم هذه المعلومات للهيئة. يتعين على السلطات المختصة في لبنان ومن اجل تحسين عملية البحث عن المفقودين او المخفيين قسرا، التعاون مع اللجنة الدولية للصليب الاحمر ومكتب المفوض السامي لحقوق الإنسان في منظمة الامم المتحدة والهيئة والصليب الاحمر اللبناني او اية هيئة إنسانية اخرى وفقاً لصلاحية كل منهم. وللهيئة ان تتصل بالسلطات والاجهزة اللبنانية او الاجنبية وتطلب منها تزويدها بالمستندات او المعلومات التي تراها مفيدة لحسن ممارسة مهامها، وعلى السلطات والاجهزة اللبنانية المعنية الاستجابة للطلب من دون ابطاء.

ما العمل لدى توافر ادلّة عن مكان وجود مفقودين؟

تبلغ الهيئة النائب العام الاستئنافي المختص عن وجود أدلة لديها بهذا الشأن، والإجراءات التي ينوي اتخاذها للتثبت من وجودها وتحديد موقعها وحمايتها. وللنائب العام، على ضوء الأدلة المتوافرة لديه قبل إجراء أي تحقيق أو تبعاً لذلك، أن يقرر وضع اليد عليها وتسييجها وتعيين حارس قضائي عليها عند الاقتضاء.

يتعين على مالك أو شاغل العقار التجاوب مع أي إجراء يُتخذ وفق هذا القانون، للتقصي عن مكان الدفن أو لحراسته تحضيراً لعملية التنقيب عنه، وذلك بعد تبلغه أصولاً هذه الإجراءات.

فور وضع الهيئة يدها على مكان الدفن، تُشكل، ضمن مهلة شهر من تاريخ وضع اليد، لجنة خاصة متعددة الاختصاصات مؤلفة من خبراء جنائيين، مهمتها نبش أماكن الدفن والتعرّف على هويات الرفات المدفونة فيها، على أن تتم هذه الأعمال خلال مهلة معقولة من تاريخ تعيين اللجنة، شرط أن تتوافر الشروط الملائمة لبدء أعمال النبش.

تتألف هذه اللجنة من خمسة أعضاء، على الشكل التالي:

- ممثل لأفراد أسرة المفقودين تعيّنه "الهيئة" بناءً على اقتراح مجموعة أفراد أسرة المفقودين والمخفيين قسراً.
- خبير متخصص في التعرّف على الرفات البشرية.
- خبير قانوني تعيّنه "الهيئة".
- عضو من المجلس البلدي للبلدية المعنية.
- قاض من قضاة الحكم العاملين ويكون رئيساً حكمياً للجنة.

كيف يُقدَّم طلب تقفي الأثر؟

يُقدَّم الطلب إلى "الهيئة" من قبل أحد أفراد أسرته أو من المقربين أو من قبل أشخاص آخرين أو من جهات معنية أخرى في حال استطاعت تقديم "الحد الأدنى من البيانات" بشأن هويته. ويجوز تقديم "طلب تقفي الأثر" بخصوص غير اللبنانيين في حال وجود أسباب مقنعة تشير إلى أن الشخص غير اللبناني "الضحية" كان مقيماً في لبنان في فترة اختفائه، أو إذا كان الشخص الأجنبي حاصلاً على الإقامة المؤقتة على الأراضي اللبنانية أو لم يحصل على الإقامة، لكن معلومات موثوقة تؤكد اختفائه على الأراضي اللبنانية أو في حال استطاعت الجهة المطالبة تأمين "معلومات موثوقة" عن ظروف اختفائه في لبنان.

تعتبر كافة الطلبات المتعلقة باختفاء أي شخص كان والمقدَّمة لهيئة رسمية مختصة قبل نفاذ هذا القانون صالحة شرط أن تتضمن "الحد الأدنى من البيانات" المطلوبة.

الحبس لمن يخفي الحقيقة

يُعاقب القانون 105/2018 من سنة إلى ثلاث سنوات وبالغرامة من اثني عشر مليون ليرة لبنانية إلى خمسة عشر مليون ليرة لبنانية:

1. كل من عبث بمكان الدفن أو نبشه بقصد تبديد أدلة تحديد هوية المفقودين المدفونين فيه.
2. كل من عرقل عمل الجهات المعنية بتقفي آثار المفقودين في أداء مهمتها في البحث والتنقيب عن أماكن الدفن أو امتنع عن تمكينها من أداء مهمتها.

كما يعاقب بالحبس من ستة أشهر إلى سنتين وبالغرامة من مليون حتى عشرة ملايين ليرة لبنانية:

1. كل من يمنع النفاذ إلى المعلومات لفرد من "أفراد الأسر" أو "للهيئة".
2. كل من يتسبب من دون أي مبرر بعرقلة إتاحة المعلومات المطلوبة لفرد من "أفراد الأسر" أو "للهيئة".
3. كل من يعطي عن قصد معلومات خاطئة تؤدي إلى تضليل عملية تقفي أثر المفقود أو المخفي قسراً أو عرقلتها.
4. كل من يعرّض أي شخص للمسؤولية الجزائية أو للتهديد أو لأي شكل من أشكال الترهيب لمجرد أنه يسأل عن مصير مفقود أو مخفي قسراً أو مكان تواجده.

ولا تنقص هذه العقوبة عن سنة حبس وخمسة ملايين ليرة لبنانية كغرامة في حال إعطاء معلومات خاطئة، أو ثبوت إساءة استعمال هذه المعلومات أو التلاعب بها.

وتُخفض هذه العقوبة إلى الربع في حال بادر الشخص المعني إلى الإفصاح عن المعلومات التي بحوزته خلال مهلة شهر من تاريخ تقديم شكوى جزائية ضده.

وكل من أقدم بصفته محرضاً أو فاعلاً أو شريكاً أو متدخلاً في جرم الإخفاء القسري، يعاقب بالأشغال الشاقة من خمس سنوات إلى خمس عشرة سنة وبالغرامة من خمسة عشر مليون ليرة لبنانية حتى عشرين مليون ليرة لبنانية.

يمكن الإطلاع على الدليل حول القانون 2018/105 على موقع الصليب الاحمر الدولي
www.icrc.org

قاووش

ظروف صعبة قد تدفع بعض الأشخاص لاتخاذ قرارات طائشة ومتهورة غالباً ما تؤدي إلى اقترافهم جرائم غير آبهين بالعواقب ومن دون ان تكون عقوبة السجن رادعاً. أحياناً تصبح السجون مكاناً لاكتساب «خبرة جنائية» والتعرّف إلى اشخاص يعرضون عليهم الانضمام إلى عصابة، او المشاركة في تخطيط عملية سطو أو قتل أو اعتداء. أما العدد الأكبر من السجناء فيقضون فترة عصيبة خلف القضبان، مليئة بالمعاناة من ظروف الاحتجاز، و«زعرنات» بعض السجناء الآخرين، وقمع الحرّاس المفرط أحياناً. تستمرّ المعاناة بعد إخلاء سبيلهم لأن حياة السجناء قبل السجن ليست كما بعده

ما بعد السجن... سجن

وظيفة العقوبة

يفترض أن تكون عقوبة السجن ردة فعل قانونية تجاه النشاط الجرمي. فبعد ثبات وقوع الجرم في المحكمة وإدانة مرتكب الجريمة تتخذ الإجراء المناسب لمعاقبته. تهدف قوانين العقوبات الجزائية إلى الردع وحماية المجتمع وإعادة التأهيل.

الردع خاص أو عام، فتحقيق الردع الخاص هو لعدم تكرار الفعل الجرمي من قبل الفاعل. أما الردع العام فهو لإعطاء أمثولة للآخرين لردعهم عن ارتكاب الجرائم. ويفترض أن يكون للردع أثر مهم للحد من تكرار الجريمة.

أما هدف حماية المجتمع فيتحقق لدى حجز حرية مرتكبي الجرائم وبالتالي إبعادهم من ضحاياهم الإضافيين في حال تكرار الجرم. ويبدو هدف إعادة التأهيل هو الأهم، فالعقوبة يفترض أن تتطلع إلى تحقيق هذا الهدف سعياً لإعادة اندماج المرتكب في المجتمع بعد إصلاح سلوكه الجنائي. من دون النجاح في تحقيق هذا الهدف لا يعود للعقوبة معنى. فللمجتمع واجب أن يحمي نفسه عن طريق إعادة تأهيل المحكوم عليهم.

■ احمد مدلج

«ما عندي غير حل»

بعد انتهاء الحرب الاهلية ووفاة والده، لم يعد باستطاعة محمد مواصلة الدراسة الجامعية، فبدأ العمل في شركة إنترنت خاصة. وبعد سنوات تراكمت خسائر الشركة وأعلنت إفلاسها والاستغناء عن موظفيها. واجه محمد صعوبات كثيرة في إيجاد فرصة عمل جديدة لتسديد ديونه وتأمين حياة كريمة لزوجته وابنه، وكان لا بد من البحث عن أي سبيل لجمع المال. ويوم أبلغته مدرسة ابنه عن عزمها طرده بسبب عدم دفع القسط، قرر محمد تغيير طريقة كسب المال. أصدر عشرات الشيكات إلى تجار مقابل استلام مواد استهلاكية من دون أن يكون في رصيده مال. وبعد مرور سنتين وبينما كان في زقاق البلاط في طريق العودة إلى منزله مع نجله فوجئ بوجود دورية لقوى الأمن أمام شقته. ألقي القبض عليه بسبب توقيعه شيكات مصرفية بدون رصيد. «بعدني لهلق مش ممكن أنسى صورة ابني هو وعم يصرخ ويبكي. كل شي عملته منشان يعيش بكرامة بس بهيدي اللحظة عرفت إني غلطت».

خلال السنة التي قضاها محمد في سجن القبة (طرابلس) كانت زوجته تعتني بابنهما، في حين كانت والدته تزوره من بيروت مع الطعام والثياب. «شفت امي مقهورة، وكانت تجيب أكل للكل بالسجن من ضمنهم القوى الأمنية، ما كان بدها زعّل حدا».

أخلي سبيل محمد وبدأت حياته «الجديدة» مع معاناة إضافية وتوتر عائلي شديد. أرادت زوجته الطلاق هرباً من التصنيف الاجتماعي لها كـ «زوجة سجين سابق». لكن محمد لم ينهر. «كمّلت واشتغلت ورجعت تجوزت مرة تانية وصار عندي ولدين منها وبحبهم قد الدني». ولدى سؤاله عن السجن أكد أنه لا يريد تكرار الخطأ نفسه، ثم صمت بعض الوقت وأضاف «إذا ما قدرت أمّن الأكل والعلم لولادي، ساعتها ما عندي غير حل».

«ضربوني في السجن»

منير من سكان مدينة صور متزوج ولديه أربعة أولاد، واجه مشكلات مادية عديدة بسبب صرفه من عمله. وبدل البحث عن وظيفة بديلة وإيجاد فرصة عمل جديدة، اتخذ الرجل البالغ من العمر إحدى وأربعين سنة طريقاً مختلفاً لتأمين حاجاته وحاجات عائلته، وهي السرقة. فبعد إقدامه على سرقة عدة سيارات ونشل المارة خلال سنتين، ألقت القوى الأمنية القبض عليه وأحالته إلى المحاكمة فحكم بالسجن لمدة سنتين. «سجن رومية كان نار جهنم بالنسبة إلي. ما كان معي مصاري وعيلتي ما كانت قادرة تأمن الأساسيات من أكل وثياب. كنت دائما اطلب من السجناء يساعدوني». روى منير تعرّضه للضرب من السجناء الآخرين. «السنتين كانوا مثل مية سنة، اشتقت لمرتي وولادي وطلبت منها تخبرهم إني مسافر على تركيا. ما كان بدي يعرفو شي عن أسباب دخولي السجن». انتهت السنتان وعاد منير إلى عائلته في صور، «أول فترة كنت منبوذ من المجتمع، وعيلتي كمان لأن وقفوا جنبي إلهم فضل كبير عندي خصوصاً مرتي رغم كل شي ما تركتني». ولدى سؤاله عن تكرار أفعاله قال: «ما بقى ارجع على السجن. صار عندي قلق منه. لو شو ما صار بشتغل أي شي لأمّن حاجات بيتي، بس ما برجع بفوت عالحبس».

«كنّا بعض»

قال بسّام إنه كان يهرب من مشكلاته العائلية من خلال تعاطيه المخدرات. لم يكن باستطاعته تحمل رؤية والده يضرب والدته وشقيقته يومياً، فكان «الحشيش» طريق هروبه الوحيد حسب قوله. حتى بعد طلاق أهله ومغادرة ابيه المنزل، لم يعد بمقدور ابن الخامسة والعشرين التوقف عن تدخين الحشيش. وفي يوم من الأيام وبينما كان يتعاطى الحشيش في الشارع، ألقي القبض عليه وأحيل إلى القضاء وحكم عليه بالسجن لتعاطي المخدرات وترويجها. «بسجن رومية عملت رفقة، ناس مثلي وعندهم نفس مشاكلي ما حدا بيطلع فينا وبيعرف مشاكلنا، كنّا لبعض». لا يخفي ابن منطقة برج حمود علاقته بالشبكة التي دخلها عبر أصدقائه في السجن من مروجي المخدرات، حتى خرج وعاد إلى ترويج وتعاطي الحشيش، ثم أضاف إليه الهيروين ثم الكوكايين. ألقي القبض عليه مرة أخرى ليعود إلى السجن للمرة الثانية. وخلال هذه الفترة الإضافية خلف القضبان قد يتعلم بسّام سبلاً للإفلات من الملاحقة في المرة القادمة.

«شو ما بدك ماخف»

في كل مرة يتكلم عصام عن الفترة التي قضاها في السجن كان الحماس والفرحة تغمرانه. «الفقر والشحار ما خلاني لاقي شغل، وكان الكل يتهرب مني». على مدة عشر سنوات كان لعصام طريق وحيد لتأمين لقمة العيش والتعليم لزوجته وأولاده وهي ترويج المخدرات، أما التعاطي فكانت طريقه لعدم التفكير في هموم الحياة الصعبة. «شو ما بيخطر عبالك سجن ومخفر أنا فتت عليهم، رومية وزحلة والقبة ومخفر الأشرفية، كلهم. السجن صورة مصغرة للدولة اللبنانية، معك واسطة بتعيش ملك وأنا هيك صار معي، بسجن رومية كنت صحبة مع «الشاويش» وشو ما بدك مامن!».

يروى عصام أنه كان موقوفاً في مخفر الأشرفية، وأوقف معه أشخاص «نافذون»، من بينهم أمير سعودي متهم بتجارة المخدرات، وكان يصلهم الطعام من المطاعم. «كانت فترة من العمر»، يبتسم ويضحك وكأنه يروي قصة خرافية ثم يصمت وتبدو ملامح القلق على وجهه.

> **امي كانت مقهورة، وكانت تاتي بالطعام لكل السجناء في القاووش وللقوى الامنية ... ما كان بدها تزعّل حدا**

تغيرت الأمور بعد إخلاء سبيله من السجن، وفتح عصام فرن مناقيش لتسديد نفقات بيته وزوجته وأولاده. «لما صحلي شغل وبلشت طلع مصاري بالحلال ارتحت، وما بقى فكر بهيدك الأيام والبهدلة لأهلي وولادي».

قد تردعهم ظروف السجن الصعبة لكنهم يخرجون منه إلى سجن آخر من دون ضمانات لعدم تكرار الجريمة، أو بالأحرى من دون ضمانات لعدم تكرار ظروف الجريمة ودوافعها وسياقها.

بدا لنا أن هدف كل من قضى عقوبته في السجن هو عدم الرجوع إليه. أما ارتكاب الجريمة فقد يؤدي إلى اقترافها مجدداً، بسبب تعذر تغيير سلوكه الجنائي في السجن. يفترض أن تؤهل السجون نزلاءها لعودتهم إلى المجتمع سالمين آمنين. ولكن في ظل الأوضاع الصعبة التي تعاني منها الدولة والقضاء في لبنان، ما نفع العقوبة التي لا تردع ولا تصلح ولا تمنع ارتكاب الجريمة مرة أخرى؟

بورصة حانوت سجن رومية

نوع البضاعة	السعر ل.ل.	نوع البضاعة	السعر ل.ل.	نوع البضاعة	السعر ل.ل.
كيلو رمان	28,000	طحينة	67,655	حمص	17,500
كيلو كلامنتين	17,000	مياه صندوف كبير	31,750	ملاعق بلاستيك	30,000
كيلو تفاح	16,666	فروج	66,000	طحين	8,790
علبة دخان سيدرز	10,000	كيلو لحمة	137,000	نسكافيه (ظرف)	2,875
فلافل 200 غرام	23,700	حبة ماجي مكعب	2,750	كيس محارم	35,000
علبة معكرونة	23,000	كيلو باذنجان	22,000	كعك السلطان	24,000
½ كيلو لبن	43,000	لوح شوكولا	3,000	برغل خشن ابيض	24,500
كيلو سمنة	67,850	ربطة نعنع	6,833	دفتر صغير	12,000
قنينة رب الرمان	34,500	كيس بصل	7,500	قلم BIC	3,500
بن	39,000	حامضة	7,500	تنكة بيبسي	8,833
فناجين قهوة	30,000	فاصوليا بيضاء	42,000	زيت 1ليتر	65,000
دواء غسيل صغير	13,300	ربطة بقدونس	4,000	زعتر 500غ	76,845
سكر	23,500	جزر	10,000	ماستر شيبس	4,000
عدس	44,500	رز	25,000	قداحة BIC	15,500

هذه الأسعار تقريبية ويمكن ان تتغير بين يوم وآخر.
وقد تختلف عن أسعار الحوانيت في السجون الأخرى

إعادة تقسيم السجون؟

يتضمن النظام العقابي في لبنان ثلاثة أنواع من السجون. النوع الأول يتضمن الحبس في أماكن مختلفة (المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة المؤبدة والمؤقتة في قسم، المحكوم عليهم بالاعتقال المؤبد والمؤقت في قسم، المحكوم عليهم بالحبس مع التشغيل في قسم، المحكوم عليهم بالحبس البسيط في قسم). النوع الثاني يتضمن الأحداث. والنوع الثالث يتضمن النساء (مادة 56 من قانون العقوبات اللبناني والمادة 8 و9 من مرسوم تنظيم السجون المرسوم رقم 49/14310).

يبدو هذا التقسيم بسيطاً نظراً لخطورة بعض الجرائم، أو نظراً لسلوك السجناء المختلف. كيف يمكن وضع مرتكبي الجرائم الخطيرة والمكررة في نفس القاووش مع مرتكب جريمة لأول مرة مثلاً؟ ألا يفترض أن يُقسَّم السجن بحسب الجريمة ووضع الجاني والحاجات الأساسية التي تساهم في إصلاح سلوكه الجنائي بعيداً من الظروف الحالية التي تساهم في مضاعفته؟

روايات خلف القضبان

19 سنة مع حديدة في رأسه

يعاني أحد السجناء الذي أصيب بطلق ناري في رأسه قبل دخول السجن من مشكلات طبية تتعلق بجهاز طبي وُضع في رأسه. هذا الجهاز الذي رُكّب بعد إصابته يسبّب له آلاماً، وهو عاجز عن دفع تكلفة العملية ($1200).

◆ متابعة

صدر في الآونة الأخيرة تقارير عن منظمات حقوقية دولية تدين «إسرائيل» بجريمة الفصل العنصري تجاه الفلسطينيين في «الأراضي الفلسطينية» (المعترف بها دولياً على أساس حدود 1967) أو في داخل «إسرائيل» (فلسطينيّي الداخل). آخرها كان تقرير منظمة العفو الدولية، والذي استقبله الناس بآراء متناقضة في هذا الخصوص، بين رأي يحتفي ويشيد بمثل هذه التقارير وأهميتها على صعيد القانون الدولي، ورأي آخر يسلّط الضوء على خطورة المصطلحات والمخرجات التي خرج بها التقرير على صعيد لبرلة القضية، إذ يساهم تناول القضية في الإطار الحالي لمنظومة حقوق الإنسان ومن خلال هذه التقارير في إعادة إنتاج المنظومة الاستعمارية، وبصورة اخطر يحصر القضية الفلسطينية في الجانب الحقوقي الإنساني، أي يجعلها قضية إنسانية بحتة من دون الاعتراف بها كحركة تحرر ومقاومة للاستعمار. امّا الراي الثالث فهو الراي العدمي الذي يشتم ويلعن هذه المنظمات ويدعو إلى مقاطعة المجتمع الدولي. هذا الصخب الحاصل حول التقرير يستدعي فهماً لتطوّر منظومة حقوق الإنسان وصناعتها، التي أدّت لاحقاً إلى خلق حالة من عدم الإيمان، بل وحالة من «التهكّم» لدى كثيرين عند تناول القانونيين والحقوقيين للقضية الفلسطينية ضمن خطاب حقوق الإنسان

أبعد من قضية حقوقية إنسانية

تقارير المنظمات الدولية: بين الوهم والعدم

حقوق الإنسان بين الواقع والمتخيّل موازين القوى والشرعية السياسية

إذا توفّر لدينا الوعي الكافي بحقيقة مفادها أنّ القانون أداة سياسية بيد الدول والأنظمة، نستطيع أن ندرك أنّ ما تقوم به منظومة حقوق الإنسان القائمة في ظل القانون الدولي الحالي هو ما تشرعه هذه السياسات وما تقرّه موازين القوى. كان من المقدّر أن تتجه القوى المتحاربة بعد الحرب العالمية الثانية لتأسيس منظومة حقوق إنسان - بهدف أن يستريح العالم قليلاً من عدّ ضحاياه - تطوّرت لتصبح ما هي عليه اليوم، والتي يمكن أن نجد فيها كقانونيين ما يمكّننا دوماً من إثبات ما تتعرض له شعوبنا من انتهاكات. أمّا ما لا نستطيع معه صبراً من شرعنة الاستعمار واستغلال الشعوب باسم الديمقراطية وحقوق الإنسان، فلم يكن من المفترض أن يكون مسؤولية القانون وحده، بل مسؤولية العمل المتكامل ضمن مشروع وطني محدّد الأهداف يشمل الجهد الدبلوماسي- القانوني الموازي للجهد العسكري- السياسي. ولذلك فإن ما يؤخذ على ما يُطرَح اليوم في مواجهة واقع منظومة حقوق الإنسان التوجه العدمي الذي ينفي الدور الدبلوماسي القانوني من دون التركيز على واقع القصور السياسي- العسكري الذي ترسّخ في أوسلو وما نتج عنها.

■ نداء يوسف

اثنتا عشرة مرةً وردت فيها تسمية «المنظمات غير الحكومية» في المؤتمر الدولي لحقوق الإنسان المعقود في فيينا بتاريخ 25 حزيران 1993، الذي يؤسس لبرنامج عمل منظومة حقوق الإنسان تحت مظلة الأمم المتحدة. يشير الإعلان اللاحق لهذا المؤتمر إلى أهمية التعاون بين الدول الأعضاء والمنظمات غير الحكومية لتعزيز وتسيير العمل للقضاء على جميع انتهاكات حقوق الإنسان على الصعيدين الوطني والدولي. كما يحث المؤتمر على الدفع بجهود المنظمات غير الحكومية لمناهضة ما أسمته بـ «الشرور». ويخص بالذكر في البند (38) الاعتراف بالدور الهام الذي تمارسه هذه المنظمات غير الحكومية في «تعزيز أنشطة حقوق الإنسان... وتعزيز وحماية جميع حقوق الإنسان والحريات الأساسية... وينبغي أن تتمتع المنظمات غير الحكومية بحرية تنفيذ أنشطتها الخاصة بحقوق الإنسان، من دون تدخل، في إطار القانون الوطني والإعلان العالمي لحقوق الإنسان».

حضرت المؤتمر آنذاك 841 منظمة غير حكومية من كافة أنحاء العالم، تدّعي جميعها حمل رسالة حقوق الإنسان. يكاد هذا العدد الهائل يتضاعف عشرات المرّات ليصل إلى بضعة الاف في عالم اليوم، خاصة في ظل ظهور جيل ثالث ورابع من الحقوق الليبرالية. تهتم كثير من هذه المنظمات بالحقوق المدنية والسياسية، وبالتالي بحقوق الأفراد التي تمسهم بوصفهم مواطنين في دولة. ومن بين هذه المنظمات، منظمة مراقبة حقوق الإنسان (هيومن رايتس ووتش) والاتحاد الدولي لحقوق الإنسان، ومنظمة العفو الدولية. تمتلك هذه المنظمات صلاحيات كافية لتنفيذ مهامها، فكما جاء في البند 10 من تقرير مجلس حقوق الإنسان الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الرابعة والستين للعام 2009، أنّه لضمان مواصلة المنظمات غير الحكومية عملها، يجب التكفّل بحصولها على المساعدات والموارد اللازمة.

> **محاولات لحصر القضية الفلسطينية في الجانب الحقوقي الإنساني من دون الاعتراف بها كحركة تحرر ومقاومة للاستعمار**

امّا عن اهمية التقارير التي تتقدّم بها هذه المنظمات فتعتبر مصادر خصبة للمعلومات، إذ تقدّم شرحاً لأوضاع حقوق الإنسان في مناطق ودول معينة، وتشكّل هذه التقارير مصادر مهمّة للجان الإشراف على تطبيق المعاهدات التي تحمي حقوق الإنسان في الدول الأعضاء، أو حتى من خلال اللجان والأجهزة المنشأة بموجب ميثاق الأمم المتحدة. تؤدي هذه التقارير إلى تشكيل ضغط أو كسب تأييد في القضايا التي تتناولها، كما أنّها قد تكون في كثير من الأحيان «تقارير ظل»، أي أنها تصدر بالتوازي مع التقارير الصادرة عن الحكومات، وتعمل على فحص المعلومات الواردة في التقارير الحكومية بما يفيد تأكيد أو نفي التزام هذه الحكومات بالاتفاقيات الخاصة بحماية وتعزيز حقوق الإنسان.

اصل حالة «التهكّم» تجاه منظومة حقوق الإنسان والمجتمع الدولي

بعد صدور التقرير الأخير لمنظمة العفو الدولية، الذي تبع تقرير منظمة «هيومن رايتس ووتش» في وصم «إسرائيل» بتهمة الفصل العنصري، انتقد نشطاء سياسيون كثر التقرير لأنه يتعامل مع «إسرائيل» بوصفها نظام «فصل عنصري» بصورة تخفّف من حدّة واقع الاستعمار الإحلالي على امتداد فلسطين التاريخية. فلم يرد في التقرير أي تجريم للاحتلال، بل إنه يتوجّه، عبر توصياته، إلى أجهزة وسلطات الاحتلال بصورة تعيد إنتاجها. كما ينتقد كثيرون ما جاء في الصفحة (38) من التقرير الذي يرفض الخوض بمسالة الحق في تقرير المصير للفلسطينيين ويساويه بحق «تقرير المصير لليهود»، ويقر باعترافه بشرعية «إسرائيل» بحسب قرار التقسيم رقم (181) على أراضي عام 1948 والأراضي التي تقع تحت «سيطرتها الفعلية»، وذلك كلّه تجنباً لوصفها بقوى احتلالية. في المقابل،فقد أورد التقرير نفسه في الصفحة (58-59) ما يفيد بأن الفصل العنصري قد يرقى إلى جريمة ضد الإنسانية حين يُرتكَب من قوى احتلالية. لسنا بمعرض مناقشة شرعية وجود الاحتلال الإسرائيلي بحسب القانون الدولي، ولكن ما يهمنا هو أنّ هذه التقارير التي تصدر عن منظمات المجتمع المدني (غير الحكومية) ليست بمعرض الفصل في شرعية وجود الاحتلال الإسرائيلي من عدمه، كما أنّها تعمل وفق ما تعترف به الأمم المتحدة من تقسيمات الدول وعليه تعترف بـ «إسرائيل»، وتنتهي حدود «الأراضي الفلسطينية» عندها حسب تقسيمات عام 1967. يمكن تفسير علاقتنا بالمجتمع الدولي وقوانينه من خلال تاريخ الحركة الحقوقية في فلسطين، التي تحوّلت من حركة نضالية تعتمد مبادىء فعلية لحقوق الإنسان كمبادىء العدالة الاجتماعية - التي طالبت فيها اولى الثورات ضد الاستعمار البريطاني ثم الصهيوني لفلسطين - إلى صناعة حقوق الإنسان التي امتهنتها سلطة اوسلو ومنظمات المجتمع المدني الممولة من الخارج. تعتقد لوري الن مؤلفة كتاب «ازدهار وانهيار حقوق الإنسان: التهكّم والسياسة في فلسطين المحتلّة»، أنّ ما يسود المشهد اليوم في العلاقة مع منظومة حقوق الإنسان هو حالة «التهكّم والسخرية» التي تجعل من خطاب حقوق الإنسان خطاباً مشبوهاً مرتبطاً بشكل أو باخر بصناعة حقوق الإنسان التي تلقى استثماراً هائلاً من دول التحاد الأوروبي والوكالة الأمريكية للتنمية الدولية والذي تتلقاه مؤسسات السلطة في محاولة لاحتكاره. أصبح هذا الخطاب «غير مُجْدٍ» برأي كثيرين ممن عقدت معهم الكاتبة مقابلات، بل يؤسس لإعادة إنتاج الوضع القائم. ولعل من أكثر النقاط أهمية التي تطرقت لها الكاتبة هو أنّ العمل الحقوقي القانوني المجدي فعلاً كان قد بدأ قبل نشأة السلطة من خلال مؤسسات كـ «مؤسسة الحق». وقد أدّت نشأة السلطة من خلال اتفاقية أوسلو إلى تاسيس وتطبيع الاحتلال على الصعيد القانوني الدولي، فقد أصبحت أوسلو الأداة القانونية التي رسّخت الاحتلال. من المهم فهم حقيقة أنّ القانون الدولي لا يمكن فصله عن الواقع السياسي والعسكري القائم، وأنّ القانون يُعمل أداة سياسية تستخدم لشرعنة الدول والأنظمة، وهذا يؤدي إلى نتائج غير مرغوبة، ما أدى إلى فقدان الأمل بهذه المنظومة لدى فلسطينيين كثيرين.

> **أدّت نشأة السلطة من خلال اتفاقية أوسلو إلى تطبيع الاحتلال على الصعيد القانوني الدولي**

(صورة من فيديو عن صفحة eye on palestine)

(أ ف ب)

بين لبرلة القضية والاعتراف بها كحركة مقاومة، ما المطلوب؟

من الصواب ألا نتعاطى مع القانون الدولي بوصفه مسلّمات، وأن نقدّر الأصوات التي خرجت لتنتقد التقرير وتضيء على عيوبه ومخرجاته التي تضع القضية في إطار ليبرالي، بل أن نرفع من حجمها ونحتويها لتشكّل ضغطاً سياسياً وعملاً دبلوماسياً. هذا ما يستدعيه العمل المتكامل الذي يعني أنّ القانون وحده ليس الحل. ولكن من الخطر الدعوة إلى تجاهل مثل هذه التقارير أو تجاهل دور العمل على الصعيد القانوني والقضائي الدولي، إذ من غير العملاني أو الصائب تجاهل واقع وجود مجتمع دولي تحكمنا به علاقات. فحتى أكثر الحركات ثورية وأكثر الشخصيات الراديكالية كانوا على احتكاك مع ومن خلال ما يسمى بـ «المجتمع الدولي». فعلى سبيل المثال، كان لرئيس الوفد الفيتنامي للمفاوضات، لي دوك ثو، دورٌ أساسيٌّ في تحقيق مطالب الثورة الفيتنامية وفي حشد الرأي العام ضد الاحتلال الأمريكي لبلاده. دوره هذا لم يكن أقل أهمية في مسار الثورة، بل شكل تكاملاً مع الدور السياسي لهو تشي منه والعسكري للجنرال جياب. وكذلك الأمر في ما يخص تشي جيفارا وتوماس سانكرا في مخاطبتهما للمجتمع الدولي في مقرّ الأمم المتحدة في نيويورك. لعل هذه التجارب خير وحي لنا على أن بالإمكان تغيير هذا الواقع المفروض بقوانينه الحالية بشرط وجود عمل مقاوم متكامل على الصعيد العسكري والسياسي والقانوني. لا يمكن للقانوني وحده أن يفرض واقعاً مختلفاً في ظل غياب عمل مقاوم قادر على قلب موازين القوى، حتّى العمل العسكري السياسي يحتاج إلى الجهد القانوني لتثبيت إنجازاته وضمان استمراريتها. الحل الأنسب إذن، الإبقاء على النضال القانوني من خلال المحافل الدولية وأن نعي عيوب وسلبيات تعاطي هذه القوانين والتقارير مع القضية في ظل المنظومة الاستعمارية اليوم. عندها، سنستطيع من خلال قوة عسكرية وسياسية ودبلوماسية متكاملة أن نفرض واقعاً جديداً يليق بتضحياتنا في الماضي والحاضر وبمستقبل الأجيال القادمة.

القوس
السبت 5 آذار 2022 العدد التاسع

مصادفةٌ معبّرة أن يتناسبَ صدورُ قانونِ المفقودين والمخفيين قسراً (رقم 105 تاريخ 2018/11/30) مع إكمالِ لجنةِ أهالي المخطوفين والمفقودين في لبنان عامَها السادس بعد الثلاثين. بالتأكيد، لم يكن هذا القانون هديةً من مجلس النواب. إنه ثمرةُ نضالِ مُضنٍ ودؤوب خاضَتْه لجنة الأهالي طوال هذه السنوات بدعمٍ من «حقنا نعرف»، إطار أصدقاء للقضية الذي استطاعت تشكيله العام 2000. احتفلنا بهذا الانتصار، ونحن نستحقّه ونحتاجُ إليه، كما مفقودونا. لكننا لم نرمِ سلاحَ الحقّ من أيدينا. صحيح أننا ربحنا معركةَ انتزاع القانون لكن حربَنا لن تنتهي قبل تطبيقِ أحكامِه

لن نتخلّى عن أحبّةٍ سَرقَتْهم الحرب ولم يُعِدْهم السلمُ

(هيثم الموسوي)

■ وداد حلواني *

صحيح أن القانونَ شكّلَ محطةً مفصليةً هامّة في مسارنا النضالي، لكنه لم يضعْ نقطةَ نهايتِه. صحيح أنّ صدورَه تأخّر 28 عاماً، إلاّ أن ذلك لا يُلغي الاعترافَ بأنه إنجازٌ مهمٌ كرّسَ حقّنا بمعرفةِ مصيرِ أحبائِنا أحياءً كانوا أو أمواتاً. إنه إنجازٌ سطّرناه، نحنُ أهالي المفقودين، بوحدتِنا، بتمسكِنا بحقّنا، باستمرارِ تحركّاتِنا في زمنَيْ الحربِ وبعدها، ببقائِنا على مسافةٍ واحدةٍ من جميعِ الأحزابِ والتياراتِ والطوائفِ وبعدمِ توجّهِنا ومطالبتِنا إلاّ للدولة لأن حلَّ قضيتِنا بيدِها وحدَها.

اليوم، أين نحن من القانون/الإنجاز، وما مفاعيلُه العملية بعد أن دخلَ عامَه الرابع؟

«لا حسّ ولا خبر»! لا، هناك خبرٌ هامٌ ومفيد. لقد أثمرتْ جهودُ لجنةِ الأهالي، من خلال متابعةِ حراكِها واتصالاتِها وضغوطِها، صدورَ أوّلِ مرسومٍ تطبيقي للقانون 2018/105، والمتعلّق بتشكيلِ الهيئةِ الوطنيةِ للمفقودين والمخفيين قسراً، المؤلّفة من عشرةِ أعضاءٍ وفق المادة (10) منه، والمُولجة بتقفّي أثرِ المفقودين والكشفِ عن مصيرِهم (المرسوم رقم 6570 تاريخ 2020/7/3).

إلاّ أن ولادةَ هذه الهيئة الوطنية لم تؤدِّ إلى إطلاق صفّارةِ البدءِ بالعمل نتيجة اعتذارٍ أو استقالةِ أعضاءٍ منها. انتظرنا حتى تاريخ 2021/4/13 ليتمَّ اكتمالُ عقدِ هذه الهيئة بصدور المرسوم رقم 7633. تفاءلنا بالخير، وعملنا على جدولةِ برنامجٍ لمواكبة عمل الهيئة، مفتاح خلاصنا من نفَقِ الظلم والظلام الذي طاولنا ومفقودينا. لكن فرحتَنا سرعان ما تبخّرتْ بخبرِ استقالةِ جماعيةٍ لأربعةٍ من أعضاءِ الهيئة عشيّةَ انتخابِ مكتبِها من دونِ ذكرِ أي مبرّرٍ لهذه الاستقالة. ما أثارَ الاستغرابَ، بل الاستنكارَ أنّ هؤلاء يُمثّلون هيئاتٍ نعتبرُها في طليعةِ المدافعين عن حقوق الضحايا. كأنّ المقصودَ بهذا التصرّف المساهمةُ بتعطيلِ عملِ الهيئة من داخلِها. أمّا التعطيلُ من الخارج فهو من صَنيعةِ السلطةِ التنفيذية. كأنّ هذا التعطيلَ مُتعمّدٌ ومتعدّدُ الوجوه:

أولاً، عدمُ تعيينِ أربعةِ أعضاءٍ بدل الذين تقدّموا باستقالاتِهم وقد مضى عليها حوالى تسعة أشهر.

ثانيا، عدمُ إعطاءِ الهيئةِ الوطنية مقراً خاصاً وملائماً لطبيعةِ عملِها كي تستطيعَ المباشرةَ به.

ثالثاً، لم تُمنحِ الهيئةُ المذكورة الاعتماداتِ الماليةَ اللازمة عن العام الفائت. ولا ندري إن كان سيُلحظ لها ميزانية ضمن مشروع الموازنة العامة للعام 2022 وفق ما ينصُّ عليه القانون 2018/105. من غير المقبول هنا التذرّعُ بوضعِ الخزينةِ المفلسة. يمكن تغطية المساهمة المالية السنوية المقرّرة للهيئة في القانون (المادة 23 منه) إذا توفّرت الإرادة، بإيقافِ صفقةٍ واحدة من صفقات الفسادِ والسرقة.

هل نستسلم؟ بالتأكيد، لا. وقد أصبحنا أقوى بعد أن نجحْنا في تثبيتِ حقِّ المعرفة، وتأمينِ الإطارِ القانوني لذلك.

لم نستسلمْ ولن، وقد خَبِرْنا المشْيَ على دروبٍ من جمْر، دروب وعرة ملغّمة بأفخاخٍ متعدّدةِ الوجوهِ والألوانِ والأوزانِ على مدارِ سنواتٍ ستبلغُ الأربعينَ بعد أشهرٍ قليلة.

لن نتركَ عظامَ أبنائنا المغطّاة بطبقةٍ من التراب عرضةً للدّوْسِ تحت النعالِ كل يوم.

لا نظنُّ أنّ الشعبَ اللبناني، بهيئاتِه

> لن نتركَ عظامَ أبنائنا المغطاة بطبقةٍ من التراب عرضةً للدّوْسِ تحت النعالِ كل يومٍ

وأفرادِه، يَقبلُ أن يستمرَّ بالعيشِ فوق عظامِ أحبائِنا الذين هم إخوةٌ لهم في المواطَنية.

سنحرصُ على فرضِ التعاملِ مع المقابرِ الجماعيةِ وفْق القواعدِ العلميةِ المُعتمَدةِ دوْلياً. سنحرصُ على احترامِ كرامةِ الرفاتِ وكرامةِ أهاليهم. ونحذّرُ أننا سنقفُ في وجهِ أيّ محاولةٍ للاستثمارِ أو التوظيفِ السياسي أو الطائفي أوَ المناطقي في هذا المجال، بغضِّ النظرِ عن مصدرِه .

لن نتخلّى عن أحبّةٍ سَرقَتْهم الحرب ولم يُعِدْهم سلمٌ «عفا الله عمّا مضى»، لأنّ الماضي لم يمضِ، لأن هذا السلم مفخّخٌ.. يَشهدُ على ذلك ما وصلتْ إليه البلادُ من تخبّطٍ وأزماتٍ على كافة المستويات ومن انهيار كافة مقوّمات الدولة.

لذا، نحن، أهالي المفقودين، لن نقبلَ أن يبقى القانون 2018/105 حبراً على ورق. لن نقبلَ مقولةَ «هلّأ مش وقت المفقودين.. رح نفقد البلد»! بل نقولُ إنّ كلَّ يوم هو يومُ المفقودين، لأنه لو عُولجتْ قضيتهم منذ توقّف الأعمالِ العسكرية وإعلانِ سلم «تبويس اللحى» لما وصلتْ البلادُ إلى ما وصلتْ إليه.

لن نقبلَ أن يبقى القانون 2018/105 حبراً على ورق، ليس من أجلِنا وأجلِ مفقودينا فقط، بل من أجلِ المجتمع، فنحن جزءٌ منه، ومن أجلِ نهوضِ الدولة من كبوتِها والوقوف على رجلَيْها من جديد.

نرى أنه في حال أُحسِنَ تطبيقُ أحكامِ هذا القانون، فإنّ نتائجَهُ سَترتدُّ إيجاباً لصالحِ الجميع. على مستوى أهالي المفقودين، سيُخفّفُ تطبيقُ القانون من معاناتِهم ويُخرجُهم من دوّامةِ الانتظارِ واللّايقين من خلال إعطائِهم الأجوبةَ الوافية عن مصيرِ أحبتّهم. وعلى مستوى المجتمعِ والدولة، سيشكّلُ تطبيقُ القانون المَمرَّ الإلزاميَ للمصالحةِ الوطنيةِ الحقيقية التي لم تحصلْ بعد. كما سيساعدُ الدولةَ على استعادةِ مصداقيتِها وعافيتِها، والقيامِ بمسؤولياتِها. وسيعيدُ إليها الاعتبارَ لأنها عندما تأخُذُ القرارَ السياسي الجدّي وتقرّرُ البحثَ عن المفقودين فهي تفتشُ عن أبنائِها. تفتشُ عنهم كمواطنين أو مقيمين متساوين من دون أيِّ تمييزٍ طائفي أو مذهبي أو مناطقي، كما يساهمُ في تحصينِ المجتمعِ من الانزلاقِ مجدّداً إلى التقاتل.

ها قد أتتْ الفرصةُ المناسبةُ لاستثمارِ هذا الإنجاز. فلنستثمِرهُ معاً، الآنَ الآن وليس غداً. فلنُترجِمْ هذا الإنجاز من خلالِ السعيِ الجدّي والحثيثِ من أجل فكِّ القيودِ المكبِّلة للهيئة الوطنية، وتسهيلِ الطريقِ أمامها بإزالة كل العقباتِ التي تعترضُها، ومنحِها كلَ الإمكاناتِ الماديةِ واللوجيستيةِ كي تستطيعَ تنفيذَ المهمةِ الصعبة والنبيلة التي أُنشئت من أجلها.

مفاعيلَ إقرارِ حقوقِ المفقودين وأهاليهم لا يُريحُ هذه الشريحة من الناس، من دون التقليلِ من أهميّةِ ذلك، بل يشكّلُ الطريقَ الأمثلَ لإعادةِ بناءِ الدولة على ذاكرةٍ موحّدة، على أسسِ المساواةِ والعدالةِ والديمقراطية. فلنستثمر هذا القانون لبناءِ قيَمِ السلم على أنقاضِ قيَمِ الحرب. وإلاّ على الوطنِ السلام.

*** رئيسة لجنة أهالي المخطوفين والمفقودين في لبنان**

تحت القوس

إمام المفقودين

■ عمر نشابة

«حتّى لو كانت الجريمة تلبس ثوب السياسة وتتقاضى أجراً سنحاربها بالسنتنا وأيدينا وقلوبنا»
(الإمام موسى الصدر 1974/4/16)

44 عاماً مضت على تغييب الإمام موسى الصدر عجزت الدولة اللبنانية وأجهزتها القضائية والأمنية خلالها عن معرفة مصيره وإعادته إلى عائلته وشعبه واحبائه. قُتل معمر القذافي عام 2011 وانهار نظامه، لكن بقي مصير الإمام مجهولاً.

كنت طفلاً يوم عمّ الحزن أحياء بيروت الشعبية، ومخيمات اللاجئين الفلسطينيين، وجبل عامل والضاحية، وسائر المناطق، حيث رُفعت صوره في كل مكان بعد انتشار خبر اختفائه مع رفيقيه الشيخ محمد يعقوب والصحافي عباس بدر الدين.

هي الصور نفسها التي تُرفع اليوم للسيد الإمام الذي لم يتغيّر. ملامح الوجه نفسها والابتسامة والعينان الثاقبتان نفسها التي نبحث عنها وننتظرها منذ عام 1978. سافر الإمام الصدر إلى ليبيا يومها مع صاحبيه بدعوة من القذافي، ولم يعودوا. سُردت نظريات عديدة عن إخفائهم، إلا أن أياً منها لم يثبت بشكل قاطع. وهكذا ألحِق الإمام بآلاف المخطوفين والمفقودين من أبناء شعبه. هم، كما الإمام الصدر، ليسوا مجرّد صور. ومن عرفهم وعايشهم والتقاهم يوماً وأحبهم لا يمكن أن ينساهم. بل مهما طال تغييبهم لن يتوقف البحث ولن يمرّ يوم من دون

أن نسأل عنهم ونقلق ونخشى أن يكونوا في حاجة إلينا ولا يمكننا الوصول إليهم.

أعتقد أن الإمام المغيّب قد لا يحبّذ فكرة تخصيص فقرة أو مقال عنه في ملف عن آلاف المفقودين والمخطوفين، إذ طالما كان يكرر أنه من الناس وفي خدمة الناس، ولا يعلو شأنه شأن آلاف المظلومين والمستضعفين. ولهذا السبب تحديداً خصّصنا هذه الفقرة عن الإمام الحبيب، إمام المقهورين والمعذبين، إمام الحق والعدل والإنصاف.

القوس
■ فريق التحرير: عمر نشابة، صادق علوية، جنان الخطيب
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: رامي عليّان
info@alqaous.com
www.alqaous.com
alqaous alqaous22 alqaous 01/34 99 54 صادرة عن شركة أخبار بيروت